المملكـــة العربيـــة السعوديـــة
مركز شيخ الإسلام ابن تيمية الوقفي
الريـــــاض - حـــــي سلطـانة

دليل ٢
المستوى الثاني
جامع شيخ الإسلام ابن تيمية

التعليق على كتاب

حلية طالب العلم

للشيخ:

د. أحمد بن حمد الونيس

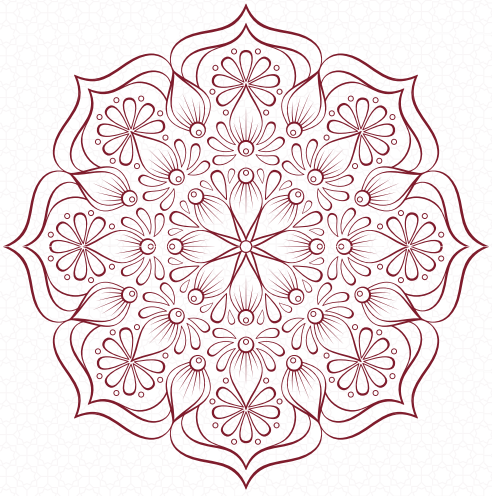

التعليق على حلية طالب العلم

برنامج دليل

المجلس الرابع ١٦/ ٦/ ١٤٤٦هـ[١]

الطالب:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه، اللهم اغفر لنا ولشيخنا وللحاضرين والمستمعين وجميع المسلمين، يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

(اللجوءُ إلى اللهِ تعالى في الطَّلَبِ والتحصيلِ:

لا تَفْزَعْ إذا لم يُفْتَحْ لك في علْمٍ من العلومِ، فقد تَعاصَتْ بعضُ العُلومِ على بعضِ الأعلامِ المشاهيرِ، ومنهم مَن صَرَّحَ بذلك كما يُعْلَمُ من تَرَاجِمِهم، ومنهم: الأَصْمَعِيُّ في عِلْمِ العَروضِ، والرُّهاويُّ المحدِّثُ في الْخَطِّ، وابنُ صالحٍ في الْمَنْطِقِ، وأبو مسلِمٍ النحويُّ في عِلْمِ التصريفِ، والسيوطيُّ في الْحِسابِ، وأبو عُبيدةَ، ومحمَّدُ بنُ عبدِ الباقي الأنصاريُّ، وأبو الحسَنِ القَطيعيُّ، وأبو زَكَرِيَّا يَحْيَى بنُ زِيادٍ الفَرّاءُ، وأبو حامدٍ الغزاليُّ، خَمْسَتُهُم لم يُفْتَحْ لهم بالنحوِ.

فيا أيُّها الطالِب، ضاعِف الرَّغبةَ، وافْزَعْ إلى اللهِ في الدعاءِ واللجوءِ إليه والانكسارِ بينَ يَدَيْه.

وكانَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، كثيرًا ما يَقولُ في دعائِه إذا اسْتَعْصَى

---

(١) هذه التعليقات تفريغ صوتي وليست تأليفا، وتم إخراجها بهذه الصورة للتيسير على طلاب برنامج دليل، والله الموفق.

عليه تفسيرُ آيةٍ من كتابِ اللهِ تعالى: اللَّهُمَّ يَا مُعَلِّمَ آدَمَ وإبراهيمَ عَلِّمْنِي، ويا مُفَهِّمَ سليمانَ فَهِّمْنِي.

فيَجِدُ الْفَتْحَ في ذلك).

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، أما بعد:

فهذه الفقرة التي ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ اللجوء إلى الله تعالى في الطلب والتحصيل.

من المعلوم أن المسلم يلجأ إلى ربه عَزَّوَجَلَّ في جميع شؤونه، ومن ذلك في طريق تحصيله للعلم، فإنه يلجأ إلى ربه ويتوكل عليه ويستعين به سبحانه في أن ييسّر له طريق الطلب وأن يفهّمه ما يتعلم، وإذا استغلقت عليه مسألة من المسائل يلجأ إلى ربه جَلَّوَعَلَا بالدعاء ويُكثر من الاستغفار كما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه إذا استغلقت عليه مسألة -على جلالة قدره وسعة علمه وذكائه وفهمه- ومع ذلك يلجأ إلى ربه جَلَّوَعَلَا ويسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يعلمه وأن يفهّمه، فكذلك طالب العلم ،لا شك أنه تمر عليه مسائل كثيرة مستغلقة، سواء في بداية طلبه للعلم أو حتى بعد ما يبلغ من العلم مبلغا عاليا، الإشكالات ما تنتهي، والمسائل التي تستغلق على العالِم كثيرة، ربما أن العالِم بقي معه الإشكال ما يقارب العشرين سنة ثم ينحل هذا الإشكال، وهذا يدلّك على أن العلم واسع وأنه لا يحيط به واحد من الناس، والمقصود من هذا أنك تلجأ إلى ربك جَلَّوَعَلَا عندما يُشكل عليك فهم مسألة من المسائل.

أيضا بعض العلوم قد تستغلق على طالب العلم مثل ما ذكر الشيخ، بعضهم في الحساب استغلق عليه والنحو استغلق على بعضهم، ما يُظن أن هؤلاء العلماء لا يعرفون شيئا في النحو، هذا بعيد، لكن كونه يُفتح عليه في هذا العلم ويفهم هذا العلم ويبرُز فيه هذا قد يستغلق على بعض الناس، وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ يُهيِّئ بعض طلاب العلم لتخصُّصات معينة ويفتح الله عَزَّوَجَلَّ عليه في هذا التخصُّص

ويجد من نفسه انشراحا وإقبالا، فيفتح على هذا في الفقه وهذا في الحديث وهذا في التفسير، وهكذا، لكن لا بد لطالب العلم أن يكون عنده تأصيل في مبادئ هذه العلوم ثم إذا تأصل يجد نفسه مقبلا على علم من العلوم فيتبحر فيه ويتوسع فيه، والتخصصات الآن معروفة في الجامعات الشرعية أن هذا يتخصص في الفقه وهذا في الحديث وهذا في العقيدة وكلٌّ إن شاء الله تعالى على خير.

الطالب:

(الأمانةُ العلْمِيَّةُ:

يَجِبُ على طالبِ العلْمِ، فائِقُ التحَلِّي بالأمانةِ العِلْمِيَّةِ، في الطلَبِ والتحَمُّلِ والعمَلِ والبلاغِ، والأداء؛ فإنَّ فَلاحَ الأُمَّةِ في صَلاحِ أعمالِها، وصلاحَ أعمالِها في صِحَّةِ عُلُومِها، وصِحَّةَ عُلومِها في أن يكونَ رجالُها أُمناءَ فيما يَرْوُونَ أو يَصِفُونَ، فمَن تَحَدَّثَ في العِلْمِ بغيرِ أمانةٍ، فقد مَسَّ العلْمَ بقُرحةٍ ووَضَعَ في سبيلِ فَلاحِ الأُمَّةِ حَجَرَ عَثْرَةٍ.

لا تَخلُو الطوائفُ المنتمِيَةُ إلى العلومِ من أشخاصٍ لا يَطلبونَ العِلْمَ ليَتَحَلَّوْا بأَسْنَى فضِيلَةٍ، أو ليَنْفَعُوا الناسَ بما عَرَفُوا من حِكمةٍ، وأمثالُ هؤلاءِ لا تَجِدُ الأمانةُ في نفوسِهم مُسْتَقَرًّا، فلا يَتَحَرَّجُون أن يَرْوُوا ما لم يَسْمَعُوا أو يَصِفُوا ما لم يَعْلَمُوا، وهذا ما كان يَدْعُو جهابذةَ أهلِ العلْمِ إلى نَقْدِ الرجالِ، وتَمييزِ مَن يُسْرِفُ في القوْلِ مِمَّنْ يَصوغُه على قَدْرِ ما يَعْلَمُ، حتى أَصْبَحَ طُلَّابُ العِلْمِ على بَصيرةٍ من قِيمةِ ما يَقرؤونَه، فلا تَخْفى عليهم مَنْزِلَتُه، من القطْعِ بصِدقِه أو كَذِبِه، أو رُجحانِ أحدِهما على الآخَرِ، أو احتمالِهما على سواء).

الأمانة العلمية مهمة وواجبة على طالب العلم، ومعنى الأمانة العلمية أنه مؤتمن على العلم، إذا تكلّم في العلم يتكلّم بما قد تثبت منه، فإذا قال لك: قال رسول الله ﷺ يكون قد تثبت أن هذا الكلام قد قاله رسول الله ﷺ.

أو إذا نقل عن العلماء قال شيخ الإسلام ابن تيمية قال ابن كثير قال الشيخ ابـن باز قال الشـيخ ابن عثيمين يكـون متثبتا وأمينا في النقل عـن العلماء، هذه أمانة علمية يجب أن يتحلى بها طالب العلم ولا يجوز له إذا كان عنده تردد أن ينسـب إلى عالم قولا، فضلاً أن ينسـب إلى رسول الله ﷺ حديثـًا، ولهذا جاء في الحديث «من كذب عليّ متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

فالأمـر عظيـم، ولهذا مرّ معنا أن العالِم الذي يؤخذ عنه العلم يشـترط أن يكون متقنـًا وأن يكون أمينـًا على العلم، ولهذا أهل الأهواء والبدع لا يؤتمنون على العلم، وكثيراً ما يوجد في كلامهم ما هو كذب أو ما هو اجتزاء لكلام أهل العلـم، يأخـذ منه جملـة ويترك ما قبله ومـا بعده، ويبني على هـذه الجملة أن أهل السـنة على باطل، وهذا مـن اتباعه هـواه، وإلا كان الواجب عليه لو كان عنده أمانة لنَقَل الكلام تاما ليتضح مراد العالم من ذلك، فالمقصود أن الأمانة العلميـة لا بد منهـا وواجبة ،وهي من الديانة، ولهذا اليوم مع الأسـف نجد في الدراسـات في الجامعات قد تكون دراسـات عليا أو تكون دراسـة في المرحلة الجامعية تقدم بحوثٌ من بعض الطلاب هي عبارة عن سـرقات علمية سـواء كان البحث كله مسروقا أو كان بعضه مسروقا.

السـرقة العلميـة أن تأخـذ كلام غيـرك وتنسـبه إلى نفسـك ولا توثقه من المرجع الذي أخذته منه، لو أخذت ولو جملة واحدة أو مسألة واحدة وتركت التوثيق لم توثق أنك أخذت هذا الكلام من المرجع الفلاني نقول: هذه سـرقة علمية؛ لأن هذا من التشبع بما لم يُعطَ، والنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ قال: «من تشبع بما لم يُعط فهو كلابس ثوبي زور».

يعني يظهر للناس أنه عالم وأنه كتب هذه المسألة وأتقن المسألة وحررها

والحقيقة أنه لم يفعل شيئا، مجرد كما يقال: قص ولزق. ثم ينسب الكلام إلى نفسه، هذا يُخل بالأمانة العلمية، فليحذر منه طالب العلم.

(الصِّدْقُ: صِدْقُ اللهجةِ: عُنوانُ الوَقارِ وشَرَفُ النفْسِ، ونقاءُ السَّريرةِ وسُمُوُّ الْهِمَّةِ ورُجحانُ العَقْلِ، ورسولُ الْمَوَدَّةِ من الْخَلْقِ، وسعادةُ الجماعةِ وصِيانةُ الديانةِ، ولهذا كان فَرْضُ عينٍ، فيا خَيْبَةَ مَن فَرَّطَ فيه، ومَن فَعَلَ فقد مَسَّ نفسَه وعِلْمَهُ بأَذًى.

قالَ الأوزاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: تَعَلَّمِ الصدْقَ قبلَ أن تَتَعَلَّمَ العِلْمَ.

وقالَ وَكيعٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: هذه الصَّنْعَةُ لا يَرتفِعُ فيها إلا صادقٌ.

فتَعَلَّمْ – رَحِمَكَ اللهُ – الصدْقَ قبلَ أن تَتَعَلَّمَ العلْمَ، والصدْقُ: إلقاءُ الكلامِ على وَجْهٍ مُطابِقٍ للواقِعِ والاعتقادِ، فالصدْقُ من طريقٍ واحدٍ، أمَّا نقيضُه الكَذِبُ فضُروبٌ وألوانٌ ومَسالِكُ وأَوديةٌ، يَجْمَعُها ثلاثةٌ:

كَذِبُ الْمُتَمَلِّقِ: وهو ما يُخالِفُ الواقِعَ والاعتقادَ، كمن يَتَمَلَّقُ لِمَنْ يَعْرِفُه فاسقًا أو مُبْتَدِعًا فيَصِفُه بالاستقامةِ.

وكَذِبُ المنافِقِ: وهو ما يُخالِفُ الاعتقادَ ويطابِقُ الواقعَ كالمنافِقِ يَنْطِقُ بما يقولُه أهلُ السُّنَّةِ والهدايةِ.

وكَذِبُ الغَبِيِّ: بما يُخالِفُ الواقِعَ ويُطابِقُ الاعتقادَ، كمَن يَعتقِدُ صلاحَ صُوفِيٍّ مبتدِعٍ فيَصِفُه بالوَلايةِ.

فالْزَمِ الْجَادَّةَ الصدْقَ، فلا تَضْغَطْ على عَكَدِ اللسانِ، ولا تَضُمَّ شَفَتَيْكَ، ولا تَفتَحْ فاكَ ناطقًا إلا على حُروفٍ تُعَبِّرُ عن إحساسِك الصادِقِ في الباطِنِ، كالحُبِّ والبُغْضِ، أو إحساسِك في الظاهِرِ، كالذي تُدْرِكُه الحواسُّ الخمْسُ: السمْعُ، البَصَرُ، الشمُّ، الذَّوْقُ، اللمْسُ، فالصادقُ لا يقولُ: أَحْبَبْتُكَ وهو مُبْغِضٌ، ولا يقولُ: سَمِعْتُ وهو لم يَسْمَعْ، وهكذا.

واحْذَرْ أن تَحومَ حولَك الظنونُ، فتَخونَك العزيمةُ في صِدْقِ اللهجةِ، فتُسَجَّلَ في قائمةِ الكاذبينَ، وطريقُ الضَّمانةِ لهذا – إذا نَازَعَتْكَ نفسُك بكلامٍ غيرِ صادقٍ فيه –: أن تَقْهَرَهَا بذِكْرِ مَنزِلَةِ الصدْقِ وشَرَفِه ورَذيلةِ الكَذِبِ ودَرَكِه، وأنَّ الكَاذِبَ عن قريبٍ يَنْكَشِفُ.

واستَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزَنَّ، ولا تَفْتَحْ لنفسِك سابلةَ الْمَعارِيضِ في غيرِ ما حَصَرَه الشرْعُ.

فيا طالبَ العلْمِ! احْذَرْ أن تَمْرُقَ من الصدْقِ إلى الْمَعارِيضِ فالْكَذِبِ، وأَسوأُ مَرَامِي هذا الْمُروقِ الكَذِبُ في العلمِ، لداءِ مُنافَسَةِ الأقرانِ وطَيَرانِ السُّمعةِ في الآفاقِ.

ومَن تَطَلَّعَ إلى سُمْعَةٍ فوقَ مَنْزِلَتِه، فلْيَعْلَمْ أنَّ في الْمِرصادِ رِجالًا يَحْمِلون بصائرَ نافذةً، وأقلامًا ناقدةً، فيَزِنُونَ السُّمعةَ بالأَثَرِ، فتَتِمُّ تَعريتُك عن ثلاثةِ معانٍ:

فَقْدُ الثقةِ من القلوبِ.

ذَهابُ عِلْمِكَ وانحسارُ القَبولِ.

أن لا تُصَدَّقَ ولو صَدَقْتَ.

وبالجملةِ، فمَن يَحترِفْ زُخرُفَ القولِ، فهو أَخُو الساحرِ، ولا يُفْلِحُ الساحرُ حيث أَتَى، واللهُ أَعْلَمُ).

يجب على طالب العلم أن يتحلى بالصدق بل يجب على كل مسلم، وذلك لأن الله عَزَّوَجَلَّ أمر به ونهى عن ما يقابله وهو الكذب.

والصدق أن يوافق الظاهر الباطن، هذا من جهة الأعمال، وأيضا الصدق في القول فلا يتكلم بكلمة إلا وهي مطابقة للواقع.

وذكر الشيخ أمثلة على هذا لا تقل لشخص إني أحبك في الله وأنت في

باطنك لا تحبه في الله، هذا كذب، لا تقل إنني قرأت الكتاب الفلاني وأنت ما قرأت الكتاب الفلاني، أو يسألك شخص يقول: تعرف المسألة الفلانية؟ تقول: نعم أعرفها، وأنت ما تعرفها، ما عرفتها إلا منه، لا تكذب، قل: لا أعرفها أنا أول مرة أسمعها منك، جزاك الله خيرا علمتني وأفدتني.

كن صادقا يعني لا تكذب لا في القول ولا في الفعل.

ذكر الشيخ أيضا ما يتعلق بالمعاريض، المعاريض وتسمى أيضا التورية، هذه أن يتكلم الإنسان بكلام له معنى يتبادر إلى ذهن السامع، وله معنى لا يتبادر إلى ذهن السامع ويريده المتكلم.

مثلا لو سألك شخص، من هذا؟ قلت: هذا أخي، يتبادر إلى الذهن أنه أخوك من النسب.

وأنت تريد أنه أخوك في الإسلام، هذه تورية، هذه حصلت في زمان الصحابة وأقرهم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، فقد جاء عن سُوَيْد بْنِ حَنْظَلَةَ ﷺ قَالَ خَرَجْنَا نُرِيدُ النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَنَا وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ فَأَخَذَهُ عَدُوٌّ لَهُ فَتَحَرَّجَ الْقَوْمُ أَنْ يَحْلِفُوا، فَحَلَفْت أَنَّهُ أَخِي، فَذَكَرْت ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ «صَدَقْت الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ» أبو داود ٣٢٥٦ وصححه الألباني.

إذن فالتورية تجوز، لكن يقول العلماء: عند الحاجة، أما من غير حاجة فيرى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها لا تجوز، يعني لا يكون الإنسان دائما يتكلم بالمعاريض والتورية، هذا قد يتهم الإنسان عند الناس بالكذب؛ لأن ظاهر الكلام يفهمونه على غير ما تريد، كثير من الناس ما يفهم التورية.

والتورية كان السلف يتعلمونها؛ لأنه عند الحاجة إليها يتكلمون بالتورية لئلا يقعوا في الكذب.

أعطيك مثالا على هذا، يعني مثلا لو أن ظالما أراد أن يقتل شخصا فجاء هذا الشخص ودخل عندك في البيت، جاء هذا الظالم يريد هذا الشخص لأجل أن يقتله بغير حق، هنا لو كذبت لجاز بل يجب عليك أن تكذب، يجب عليك أن تكذب، لكن إن أمكن أن توري وتَسلم من الكذب فهو أولى، يعني أنا أعطيكم لطيفة مرت عـن بعض تلاميذ الإمام أحمد بحضور الإمام أحمد ذكرها ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مناقب الإمام أحمد وهذا كتاب قيم، كتاب ضخم في مناقب الإمام أحمد تجد فيـه آثارا عظيمة عن هذا الإمام -رحمه الله رحمة واسـعة- يقول أحدهم: كنا في منزل ومعنا الإمام أحمد ومعنا المـرُّوذي ومهنّا الشامي، وهما من تلاميذ الإمام أحمد، فطرق طارق الباب فقال: المرُّوذي ها هُنا؟

شخص عند الباب يسأل عن المـرُّوذي، المـرُّوذي لا يريد أن يعلم هذا الشخص بأنه في هذا المجلس لأمر ما، فخرج إليه مهنّا، وأشار بأصبعه السبابة في راحة يده، وقال: المـرُّوذي ليس هنا، وما يصنع المـرُّوذي هنا؟ فانصرف الرجـل، وقـد فهم أنه ليـس في البيت، ومُهنـا يريد أنه ليـس في يدي. فضحك الإمام أحمد ولم يقُل شيئا.

أحيانـا تحتاج إلـى التورية لأجل أن تدفع عن نفسـك شـيئا، إما ضرر أو إشـغال من قبل بعض الناس لك، لكن لا يجوز أن تسـتعمل التورية في إبطال حـق الناس، كشـخص يطالبك بديـن وتوري له، لا يجوز هـذا، ولهذا جاء في الحديث أنه لا تُقبل التورية عند القاضي حتى لو حلف وهو يوري، لا تُقبل إلا على ما ادّعى به المدعي.

فالمقصود من هذا أنك لا تُكثر من التورية وإنما تأتي بها عند الحاجة، وإذا لم توجد حاجة فالأصل أنك لا تُورِّي.

(جُنَّةُ طالِبِ العلْمِ:

جُنَّةُ العالِمِ لا أَدْرِي ويَهْتِكُ حِجابَه الاستنكافُ منها، وقولُه: يُقالُ...

وعليه، فإن كان نِصْفُ العلْمِ لا أَدْرِي، فنِصْفُ الجهْلِ يُقالُ وأَظُنُّ).

هـذا مهم جـدا لطالب العلم، أن يعلـم أن الأصل فيـه الجهل، الأصل في كل أحد الجهل ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ فإذا سـئل الإنسان أيًا كان عن شيء لا يعلمه فليقل: الله أعلم.

وهذه سهلة على أهل التقوى، لكن الذين يحبون التَّرؤُّس ويحبون الشهرة يصعـب علـى الواحد منهـم أن يقـول: لا أدري؛ لأنـه يظن أن الناس سـوف يسـتنقصونه، يقول: إذا سـألوني فقلت: لا أدري. قالوا هـذا جاهل ليس عندن علم، وسـينصرفون عنـي، إذن ليس مقصده وجه الله عَزَّوَجَلَّ بهـذا العلم، ولهذا فـإن الله عَزَّوَجَلَّ يرفـع درجـات أولئك العلمـاء الأتقياء الذين إذا سـئلوا عما لا يعلمون قالوا: الله أعلم.

ولنـا في الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ أسـوة، عبد الله بن عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا كما في مقدمة الدارمي في السـنن، يقول الراوي عنه: كان عبد الله بن عمر يجلس في المسجد الحرام فيسأله الناس فكان ما يقول فيه الله أعلم أكثر مما يفتي فيه.

هـذا يقولـه مَـن؟ عبـد الله بـن عمـر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا المكثـر مـن الروايـة عـن رسول الله ﷺ، ومن فقهاء الصحابة ﷺ، فكيف بغيره؟

وهذا أيضا كثير عند علمائنا الراسـخين، واشتهر بهذا سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُٱللَّهُ كثيرا ما نسمعه يقول: الله أعلم، المسألة تحتاج مراجعة، نراجع الإخوان في اللجنة، اللجنة الدائمة للإفتاء، وكلهم أصغر منه، بعضهم من تلاميذه.

هذه تدلّك على ماذا؟ على ورع وديانة واسـتحضار أنّك إذا قلت يجوز أو

لا يجوز فإنك ستوقف بين يدي الله عَزَّوَجَلَّ وتسأل ما حجّتك على ما قلت؟ لأنك تكلمت في دين الله، إذن قل: الله أعلم. فيما لا تعلم، ويسلم لك دينك.

ولهذا كان بعض السلف إذا سئل عن مسألة وهو لا يعلم قال: الله أعلم، فإذا انصرف السائل قال: بليّة دفعها الله.

بليّة يعني ابتلاء وامتحان لكن الله دفعها عني؛ لأنه ليس كل أحد يوفق إلى أن يقول: الله أعلم.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أن بعضهم جاهل بالمسألة، ولا يريد أن يقول: الله أعلم، بل يقول: أظن كذا، فهو غير متثبت، وهذا لا يحل له أن يتكلم فيما لم يتثبت منه، فالأصل أن الإنسان إذا كان لا يعلم يقول الله أعلم، وهذا مع الأسف اليوم قليل في طلاب العلم.

ولهذا جاء عن بعض السلف أنه ينبغي للعالم أن يورّث تلاميذه: الله أعلم.

وقد قيل إن الله أعلم نصف العلم.

فنسأل الله عَزَّوَجَلَّ العصمة في هذا وأن يوفقنا لئلا نتكلم في دين الله إلا بعلم.

(المحافَظَةُ على رأسِ مالِك، ساعاتِ عُمُرِك:

الوقتَ الوقتَ للتحصيلِ، فكن حِلْفَ عمَلٍ لا حِلْفَ بَطالةٍ وبَطَرٍ، وحِلْسَ مَعْمَلٍ لا حِلْسَ تَلَهٍّ وسَمَرٍ، فالْحِفْظُ على الوَقْتِ، بالجِدِّ والاجتهادِ ومُلازَمَةِ الطلبِّ، ومُثافَنَةِ الأشياخِ، والاشتغالِ بالعلْمِ قراءةً وإقراءً ومطالَعَةً وتَدَبُّرًا وحِفْظًا وبَحْثًا، لا سِيَّمَا في أوقاتِ شرْخِ الشبابِ، ومُقْتَبَلِ العُمْرِ، ومَعْدِنِ العافيةِ، فاغْتَنِمْ هذه الفرصةَ الغاليةَ، لتنالَ رُتَبَ العلْمِ العاليةَ، فإنها وقتُ جَمْعِ القلبِ، واجتماعِ الفِكْرِ، لقِلَّةِ الشواغِلِ والصوارِفِ عن التزاماتِ الحياةِ والتَّرَؤُّسِ، ولِخِفَّةِ الظَّهْرِ والعِيالِ.

ما للمُعيلِ وللعوالي إنما يسعى إليهنّ الفَريدُ الفاردُ

وإيَّاك وتأميرَ التسويفِ على نفسِك، فلا تُسَوِّفْ لنفسِكَ بعدَ الفراغِ من كذا،

وبعـدَ التقاعُدِ مـن العَمَلِ هـذا... وهكذا، بل البِـدارَ قبلَ أن يَصْـدُقَ عليك قولُ أبي الطَّحَّانِ القَيْنيِّ:

حنَتنـي حانيـاتُ الدهر حتى ... كأني خاتـلٌ أدنـو لصَيـدي
قصيرُ الخطو، يحسبُ مَن رآني ... ولسـتُ مُقَيّـدًا أني بقَيـدِ

وقال أُسامةُ بنُ مُنْقِذٍ:

مع الثمانين عاث الضعفُ في جسدي ... وساءني ضعفُ رِجلي واضطرابُ يَدي
إذا كتبـتُ فخطّـي خـط مُضطربٍ ... كخـطّ مُرتعـش الكفيّـن مُرتعـدِ
فاعجَب لضعف يدي عن حملِها قلمًا ... مـن بعد حمـل القنـا في لَبّة الأسَـدِ
فقُـل لمـن يتمنـى طـول مُدتـهِ ... هـذي عواقبُ طول العُمـر والمددِ

فإن أَعْمَلْتَ البِدارَ فهذا شاهدٌ منك على أنك تَحْمِلُ كِبرَ الهمَّةِ في العِلْم).

لا بدَّ لطالب العلم أن يحفظ الوقت، لا يضيع الوقت في أمور لا فائدة فيها، فضلا عن أن يضيعها فيما يغضب الله جل وعلا.

ولهذا أكد الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ على زمن الشباب، وذلك لما فيه من قوة البدن، فالإنسـان كل ما تقدم به العمر يضعف، فالشباب في الغالب يكون معه الصحة والقـوة والهمة العاليـة، وأيضا فيه الفراغ، لم يتـزوج وليس عنده أولاد وليس عنده أعمال ولا هموم، الذهن خالٍ متفرّغ للعلم والطلب.

وذكـر الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيتا وهو قـول القائل ما للمعيـل وللعوالي ،المُعيل يعنـي الـذي عنده عائلة وعنده أولاد يعولهم، يقول هذا سـيكون مشـغولا إما بكسـب الرزق لهـم أو بما يحتاجون إليـه من أمور لا تخفى، قال إنما يسـعى إليهن، يسـعى للعوالي، الفريد الفارد، يعني الذي ليس عنده زوجة ولا أولاد، لا يـزال في مُقتبل عمره، هذا يسـتثمر هذا الوقت ويشـتغل في الطلب والبحث

والحفظ والمراجعة، يحصّل بإذن الله خيرا كثيرا؛ لأنه كلما تقدم به العمر سوف يقل عنده الوقت الذي يصرفه للعلم، فينبغي للشباب أن يستثمروا هذه المرحلة الزمنية التي هي من أفضل الأوقات للطلب والتحصيل.

الطالب:

(إجمامُ النفْسِ:

خُذْ من وَقْتِك سُويعاتٍ تُجِمُّ بها نفسَك في رِياضِ العِلْمِ من كُتُبِ المحاضراتِ الثقافةِ العامَّةِ، فإنَّ القلوبَ يُرَوِّحُ عنها ساعةً فساعةً.

وفي المأثورِ عن أميرِ المؤمنينَ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: أَجِمُّوا هذه القلوبَ، وابْتَغُوا لها طرائفَ الْحِكمةِ، فإنها تَمَلُّ كما تَمَلُّ الأبدانُ.

وقالُ شيخُ الإسلامِ ابنُ تَيميةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى في حِكْمَةِ النهي عن التَّطَوُّعِ في مُطْلَقِ الأوقاتِ: بل في النهي عنه بعضَ الأوقاتِ مصالِحُ أُخَرُ من إجمامِ النفوسِ بعضَ الأوقاتِ، من ثِقَلِ العِبادةِ، كما يُجَمُّ بالنوْمِ وغيرِه، ولهذا قالَ مُعاذٌ: إني لأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي، كما أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي.

وقالَ: بل قد قيلَ: إنَّ من جُملةِ حِكمةِ النهي عن التَّطَوُّعِ المطلَقِ في بعضِ الأوقاتِ: إجمامَ النفوسِ في وَقْتِ النهي لتَنْشَطَ للصلاةِ، فإنها تَنْبَسِطُ إلى ما كانت مَمنوعةً منه، وتَنْشَطُ للصلاةِ بعدَ الراحةِ. واللهُ أَعْلَمُ اهـ.

ولهذا كانت العُطَلُ الأسبوعيَّةُ للطُّلَّابِ مُنتشِرَةً منذُ أَمَدٍ بعيدٍ، وكان الأَغْلَبُ فيها يومَ الْجُمعةِ وعَصْرَ الخميسِ، وعندَ بعضِهم يومَ الثلاثاءِ ويومَ الاثنينِ، وفي عِيدَي الفطْرِ والأَضْحَى من يومٍ إلى ثلاثةِ أيَّامٍ وهكذا.

ونَجِدُ ذلك في كُتُبِ آدابِ التعليمِ، وفي السِّيَرِ، ومنه على سبيلِ الْمِثالِ: آدابُ المعَلِّمِينَ لسُحْنونٍ، والرسالةُ الْمُفَصَّلَةُ للقابسي، والشقائقُ النُّعْمانيَّةُ، وعنه في:

أَبْجَـدِ العلوم، وكتابِ: أَلَيْسَ الصبْحُ بقريبٍ للطاهرِ ابنِ عاشـورٍ، وفتاوَى رَشـيد رِضَا، ومُعْجَمِ البِلدانِ، وفتاوى شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيمية).

النفس قد تكلّ وقد تمل من الطلب، فحينئذ يُـجم نفسـه بأن يقرأ في كتب التاريـخ مثـلا، كتب السـيَر ،كتـب الأدَب، والمقصـود الأدب النافـع المفيد المشـتمل علـى الحكَـم، هذه يحصل بهـا للنفس اسـتجمام وراحـة؛ لأنها لا تحتاج إلى كد للذهن ولا تحتاج إلى حفظ متن، وإنما يمر عليها ويستفيد منها وهـي أيضا مفيـدة لطالب العلم، طالب العلم من المهـم أن يكون مطلعا على هذه العلوم التي تسـمى الملَح ،بخلاف العلوم التي هي أصول العلم كالعقيدة والفقـه والحديث ونحوها، لكن هذه إذا تعب مـن تلك العلوم التي هي علوم أصـول وفيها إعمال الذهـن وفيها تعب وفيها كد للذهن فـإذا تعب ينتقل إلى تلك العلوم ويقرأ فيها ويجم نفسه.

الطالب:

(قراءةُ التصحيحِ والضبْطِ:

احْرِصْ على قِراءةِ التصحيحِ والضبْطِ على شـيخٍ مُتْقِنٍ؛ لتأْمَنَ من التحريفِ والتصحيفِ والغلَطِ والوَهْمِ. وإذا اسْـتَقْرَأْتَ تَراجـمَ العُلماءِ – وبخاصَّةٍ الْحُفَّاظَ منهـم – تَجِدُ عَددًا غيرَ قليلٍ مِمَّنْ جَـرَّدَ المطَوَّلاتِ في مجالِسَ أو أيَّامٍ قراءةَ ضَبْطٍ على شيخٍ مُتْقِنٍ.

فهـذا الحافظُ ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ قَرَأَ صحيحَ البخاريِّ في عشـرةِ مجالسَ، كلُّ مجلِسٍ عشرُ ساعاتٍ، وصحيحَ مسلِمٍ في أربعةِ مجالسَ في نحوِ يومينِ وشيءٍ من بُكْرَةِ النهارِ إلى الظهْرِ وانتهى ذلك في يومِ عَرَفَةَ، وكان يومَ الجمُعَةِ سـنةَ ٨١٣ هـ، وقرأَ سُـنَنَ ابنِ ماجهْ في أربعـةِ مجالِسَ، ومُعجَمَ الطبـرانيِّ الصغيرَ في مَجلِسٍ واحدٍ، بينَ صَلَاتَي الظهْرِ والعَصْرِ.

وشيخُه الفَيروزآباديُّ قَرَأَ في دِمَشْقَ صحيحَ مُسْلِمٍ على شيخِه ابنِ جَهْبَلَ قِراءةَ ضَبْطٍ في ثلاثةِ أيَّامٍ.

وللخطيبِ البَغداديِّ والمؤتَمَنِ الساجيِّ، وابنِ الأبَّار وغيرِهم في ذلك عجائبُ وغرائبُ يَطولُ ذِكْرُها، وانْظُرْها في السِّيَرِ للذهبي، وطَبقاتِ الشافعيَّةِ للسُّبْكيِّ، والجواهِرِ والدُّرَرِ للسَّخَاويِّ، وفتْحِ الْمُغيثِ، وشَذَراتِ الذهَبِ، وخُلاصةِ الأثَرِ، وفِهْرِسِ الفهارِسِ للكَتَّانِيِّ، وتاجِ العَروسِ.

فلا تَنْسَ حَظَّكَ من هذا).

قراءة التصحيح والضبط.

وذكَر جملة من العلماء الذين كانوا يقرؤون على مشايخهم، وهذا يدُلُّك على علو الهمة، فانظر ما ذكر عن الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قرأ صحيح البخاري في عشرة مجالس، المجلس الواحد عشر ساعات، وهذا صبر عظيم على العلم، فانظر إلى الهمم العالية.

فالمقصود من هذا إن تيسر عرض هذه الكتب، كالكتب الستة، وقراءتها على المشايخ قراءة تصحيح وضبط فهذا طيب، اقتداء بهؤلاء العلماء -رحمهم الله تعالى-.

لكن هذا لا يكون في البداية، يكون بعد ما يحصل طالب مبادئ العلم ويتقدم في العلم.

الطالب:

(جَرْدُ الْمُطَوَّلاتِ:

الْجَرْدُ للمُطَوَّلاتِ من أَهَمِّ الْمُهِمَّاتِ، لتَعَدُّدِ المعارِفِ، وتوسيعِ الْمَدَارِكِ

واستخراجِ مَكنونِها من الفوائدِ والفرائدِ، والخبرةِ في مَظَانِّ الأبحاثِ والمسائلِ، ومَعرِفَةِ طرائقِ الْمُصَنِّفِينَ في تآليفِهم واصطلاحِهم فيها.

وقد كان السالِفون يَكتبون عندَ وُقوفِهم: بَلَغَ. حتى لا يَفوتَه شيءٌ عندَ الْمُعاوَدَةِ، لا سيَّمَا مع طُولِ الزَّمَنِ).

جرد المطولات مهم للطالب لكن لا يكون للمبتدئ -كما عرفنا- بعد ما يتقدم في الطلب ويمر على جملة من المتون ويحصّل شيئا من العلم حينئذ يقرأ في المطولات، وإذا قرأ في المطولات عرفنا كيف يقيد الفوائد فيما مر معنا في كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فحينئذ يحصّل فوائد جمة متنوعة في فنون متعددة، ويعرف مظان بحث المسائل؛ لأنه تمر عليه المسائل في جرده لهذه المطولات؛ لأن بعض المسائل تُبحث أو تُذكر في غير مظنتها.

وأنا أذكر لكم مثالا على هذا:

لبس الخاتم، هل يلبس في اليمنى بالنسبة للرجل أو في اليسرى؟ وفي أي إصبع يلبس؟ ما هي السنة في هذا؟

لو قلت لك هذه المسألة أين يبحثها الفقهاء؟

هذا يذكره بعض الحنابلة كما في الروض المربع في كتاب الزكاة! ما علاقته بالزكاة؟

لما تكلموا على باب زكاة النقدين استطردوا؛ لأن الرجل يلبس الحُلي، وهذا الحُلي الذي لبسه الرجل يزكّى أو لا يزكّى؟

ثم استطردوا فتكلموا على لبس الرجل الخاتم ويكون في أي إصبع وفي أي يد إلى آخره.

إذا لم تكن قد جردت الفقه من أوله إلى آخره لن تعرف مظنّة هذه المسألة، طبعا هذا في السابق، اليوم تيسرت طرق للبحث توصلك إلى المعلومة وإن كانت في غير مظنّتها، وهذه تحتاج إلى تدرب على طريقة البحث، لكن المقصود من هذا أن كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في جرد المطولات تقف على نفائس من كلام أهل العلم في غير مظنتها، وعرفنا كيف نقيد هذه الفوائد ونضمها إلى نظائرها حتى لا تضيع.

الطالب:

(حُسْنُ السؤالِ:

الْتَزِمْ أَدَبَ الْمُباحَثَةِ، من حُسْنِ السؤالِ، فالاستماعِ، فصِحَّةِ الفَهْمِ للجَوابِ، وإيَّاكَ إذا حَصَلَ الجوابُ أن تَقولَ: لكنَّ الشيخَ فلانًا قالَ لي كذا، أو قالَ كذا، فإنَّ هذا وَهنٌ في الأَدَبِ، وضَرْبٌ لأَهْلِ العِلْمِ بعضِهم ببعضٍ، فاحْذَرْ هذا.

وإن كنتَ لا بُدَّ فاعلاً، فكنْ واضحًا في السؤالِ، وقل ما رأيْك في الفَتْوَى بكذا، ولا تُسَمِّ أَحَدًا.

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: وقيلَ: إذا جَلَسْتَ إلى عالِمٍ، فسَلْ تَفَقُّهًا لا تَعَنُّتًا اهـ.

وقالَ أيضًا: وللعلْمِ سِتَّةُ مَراتِبَ.

أَوَّلُها: حسْنُ السؤالِ.

الثانيةُ: حسْنُ الإنصاتِ والاستماعِ.

الثالثةُ: حسْنُ الْفَهْمِ.

الرابعةُ: الْحِفْظُ.

الخامسةُ: التعليمُ.

السادسةُ: وهي ثَمَرَتُه، العمَلُ به ومُراعاةُ حُدودِه اهـ.

ثم أَخَذَ في بيانِها ببَحْثٍ مُهِمٍّ).

ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قيل له: كيف حصّلت هذا العلم؟ قال: بلسانٍ سؤول وقلبٍ عقول.

لكن السؤال ينبغي أن يكون بأدب، ومما ذكره الشيخ رَحِمَهُٱللَّهُ من الأدب أنك إذا سألت شيخك عن مسألة فإذا أجابك لا تقُل: ولكن الشيخ فلانا يقول كذا، هذا ليس من الأدب ،كأنك الآن تريد أن تضرب أقوال أهل العلم بعضها ببعض، هو الآن أعطاك ما يعتقد، وأنت تعمل بما ذكره أهل العلم عند اختلاف الفتوى، إذا كنت الآن تستفتي لأجل أن تعمل فإذا اختلف عليك أهل العلم في مسألة فتأخذ برأي الأعلم والأتقى، وإن كان هناك كثرة تأخذ بالكثرة، هذه ثلاثة ضوابط تعمل بها عند اختلاف الفتوى ،وهذه مسألة نحتاج إليها ويحتاج إليها عموم الناس اليوم مع الانفتاح الآن في الفتوى، يسمعون فتوى من فلان ومن فلان ومن فلان، فيشكل الأمر على العامي أو طالب العلم المبتدئ الذي لا يحسن الترجيح في المسائل، يقول: أعمل بقول مَن؟

عندك ثلاثة ضوابط:

الضابط الأول: التقوى، يعني الأتقى من المفتيَين.

والضابط الثاني: الأعلم منهما.

والضابط الثالث: إن كان القول الأول هو قول أكثر أهل العلم فهذا مرجح له على القول الذي قال به قليل من أهل العلم.

الطالب:

(الْمُناظَرَةُ بلا مُمَارَاةٍ:

إيَّاكَ والْمُمَارَاةَ، فإنها نِقْمَةٌ، أمَّا المناظَرَةُ في الْحَقِّ، فإنها نِعْمَةٌ إذ الْمُناظَرَةُ

الْحَقَّـةُ فيها إظهارُ الحقِّ علـى الباطلِ، والراجِحِ على المرجـوحِ، فهي مَبْنِيَّةٌ على الْمُناصَحَـةِ والْحِلْـمِ، ونَشْـرِ العلْمِ، أمَّـا الْمُمـاراةُ في المحـاوَرَاتِ والمناظَرَاتِ، فإنها تَحَجُّـجٌ ورِياءٌ، ولَغَطٌ وكِبرياءُ ومُغالَبَةٌ ومِراءٌ، واختيالٌ وشَـحْنَاءُ، ومُجاراةٌ للسـفهاءِ، فاحْذَرْها واحْذَرْ فاعِلَها، تَسْـلَمْ من المآثِمِ وهَتْـكِ الْمَحارِمِ، وأَعْرِضْ تَسْلَمْ وتَكْبُت الْمَأْثَمَ والْمَغْرَمَ).

المناظرة بلا مماراة.

المقصـود المباحثـة في العلـم، كمـا يحصل في كتـب الفقه التـي أُلفت في الخـلاف العالـي بيـن المذاهـب، تذكر الأقـوال في المسـألة وأدلـة كل قول والمناقشـة للأدلـة، وربما الجواب عنها، هـذه مطارحات علمية، فالمناقشـة العلميـة أو المناظرة العلمية المقصود منها إحقـاق الحق والوصول إليه، هذه محمودة ومطلوبة، قال الله عَزَّوَجَلَّ ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾

وأمـا المناظـرة المذمومـة أو الجـدال المذمـوم فهو الـذي يكون لأجل الانتصـار للنفـس ولأجل المغالبة، يناظره لأجل أن ينتصـر عليه ويُظهر جهله وضعفه، هذا مذموم، وقد نهى عنه السلف.

فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: المناظرة بلا مماراة، لا يماري في مناظرته بل يكون قصده إحقاق الحق والانتفاع والاستفادة.

الطالب:

(مُذاكَرَةُ العِلْمِ:

تَمَتَّـعْ مع البُصَـرَاءِ بالْمُذاكَرَةِ والْمُطارَحَـةِ، فإنها في مَواطِنَ تَفـوقُ الْمُطالَعَةَ وتَشْـحَذُ الذهْنَ وتُقَوِّي الذاكرةَ، مُلْتَزِمًا الإنصافَ والملاطَفَـةَ مُبْتَعِدًا عن الْحَيْفِ والشَّغَبِ والمجازَفَةِ.

وكُنْ على حَذَرٍ، فإنها تَكْشِفُ عُوارَ مَن لا يَصْدُقُ

فـإن كانت مع قاصرٍ في العِلْمِ، بـاردِ الذهْنِ، فهي داءٌ ومُنافَرَةٌ، وأمَّا مُذاكرَتُك مع نفسِك في تقليبِك لمسائِلِ العلْمِ، فهذا ما لا يَسوغُ أن تَنْفَكَّ عنه.

وقد قيلَ: إحياءُ العِلْمِ مُذاكرَتُه).

يريد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنك تستذكر العلم مع قرانك أو مع نفسك.

أمـا مع النفس فالأمـر واضح، وأنـت في خلوة وفي راحة تبدأ تسـتحضر، ماذا درسـنا اليوم؟ درسـنا المسـألة الفلانية، ما صورتها؟ ما دليلها؟ تستحضر المسائل وتسترجع مع نفسك، هذه مذاكرة لأجل أن تضبط العلم.

والطريق الثاني: المذاكرة مع أقرانك وزملائك من طلاب العلم، لكن ينبه الشيخ: لا تتذاكر العلم مع شخص بارد الذهن ضعيف، هذا لا تنتفع به، وإنما يكون مثلك أو أفضل منك لأجل أن تسـتفيد، ربما يعطيك بعض الفوائد التي فاتت عليك، فهذه مذاكرة للعلم ومدارسة، وهذا كان موجودا يعني حسب ما ذُكر لنا أو ما سـمعنا من المشايخ أيام الشيخ محمد بن إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان إذا ألقى الدرس يقوم أحد الطلاب يعيد درس الشيخ، يسمى المعيد.

فيقـوم هـذا التلميذ ويعيد درس الشـيخ، هذه الإعـادة كتلخيص لما قاله الشيخ لا شك أنها تؤدي لتثبيت العلم، فهذه نوع من المذاكرة، فالمقصود أنك لا تغفل عن تذاكر العلم مع إخوانك ممن تستفيد منهم وتفيدهم.

الطالب:

(طالـبُ العلْـمِ يَعيشُ بيـنَ الكتابِ والسُّـنَّةِ وعلومِهـا، فهما لـه كالْجَناحينِ للطائرِ، فاحْذَرْ أن تكونَ مَهيضَ الْجَناحِ.

استكمالُ أدواتِ كلِّ فَنٍّ:

لـن تكونَ طالبَ عِلْمٍ مُتْقِنًا مُتَفَنِّنًا – حتى يَلِجَ الْجَمَلُ في سَـمِّ الْخِياطِ – ما لم تَستكمِلْ أدواتِ ذلك الفَنِّ، ففي الفِقْهِ بينَ الفقْهِ وأصولِه، وفي الحديثِ بينَ عِلْمَي الروايةِ والدِّرايةِ.... وهكذا، وإلا فلا تَتَعَنَّ.

قـالَ اللهُ تعالـى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ فيُسـتفادُ منها أنَّ الطالِبَ لا يَتْرُكُ عِلْمًا حتى يُتْقِنَهُ).

هذا حث من الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لطالب العلم أن يعتني بإتقان العلوم، ومن المعلوم أن إتقان جميع العلوم ليس بالأمر الهين، وأنت إذا نظرت في تاريخ الإسلام، مَن هم العلماء الذين جمعوا بين علوم الشريعة كلها؟ تجد الواحد بعد الواحد، نعم تجد من برز في الفقه لكن ليس بارزا في الحديث، تجد من برز في التفسير لكن لم يبرز في الحديث، وهكذا، لكن أصول العلم العامة موجودة عندهم.

فإذا يسـر الله عَزَّوَجَلَّ للطالب ونشأ على العلم من صغره ووفق لمن يوجهه واجتهد في أن يتقن هذه العلوم الشـرعية كلها فهذا نور على نور، وإلا فلا أقل من أن يتقن بعضها وينفع الله عَزَّوَجَلَّ به في هذا العلم الذي أتقنه.

الطالب:

(الفصلُ السادسُ

التَحَلِّي بالعَمَلِ.

من عَلاماتِ العِلْمِ النافِعِ:

تَسَاءَلْ مع نفْسِك عن حَظِّكَ من عَلاماتِ العِلْمِ النافِعِ، وهي:

العَمَلُ به.

كراهيةُ التزكيةِ والمدْحِ والتكبُّرِ على الْخَلْقِ.

تكاثُرُ تَواضُعِكَ كُلَّمَا ازْدَدْتَ عِلْمًا.

الهرَبُ من حُبِّ الترَؤُّسِ والشُّهرةِ والدنيا.

هَجْرُ دَعْوَى العِلْمِ.

إساءةُ الظنِّ بالنفْسِ، وإحسانُه بالناسِ، تَنَزُّهًا عن الوُقوعِ بهم.

وقد كان عبدُ اللهِ بنُ المبارَكِ إذا ذكر أَخلاقَ مَن سَلَفَ يُنشِدُ:

لا تعرضن بذِكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد)

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من علامات العلم النافع ستة أمور:

الأمر الأول: العمل بالعلم، وهذا مر معنا مرارا.

الثاني: كراهية التزكية والمدح والتكبر على الخلق، يعني إذا مُدح وقيل أنت ما شاء الله عليك طالب علم وأنت ما شاء الله عليك حافظ، ونحوه هذه العبارات، فينبغي له أن يكره هذا المدح. لأنه يعرف من نفسه الضعف والنقص، دائماً الإنسان يزدري نفسه لا يرى نفسه فيقول: حفظت أو درست أو قرأت وأنا كذا وكذا وأنا حصّلت، لا، حتى لو حصّل أعلى الشهادات، دائماً يزدري نفسه، ولذا فإن عمر -رضي الله تعالى عنه- لما طُعن -كما في البخاري- قال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ليتني خرجت منها كفافا لا لي ولا عليّ.

والإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما قيل له: هل أنت عربي؟ قال نحن قوم مساكين.

وهذا كلام عبد الله بن المبارك، قال:

لا تعرضن بذكرنا مع ذكرهم ليس الصحيح إذا مشى كالمُقعدِ

يقوله عبد الله بن بارك العالم المعروف.

إذن المقصود أن طالب العلم إذا مدح يكره ويظهر هذا على وجهه أنه

يكره المدح لأجل أن لا يدخل عليه العُجب ثم يهلك عياذا بالله، يطلب العلم ويتعب فيه ثم يكون مآله إلى النار نعوذ بالله من سوء الخاتمة.

-قال: تكاثر تواضعك كلما ازددت علما، كلما ازداد طالب العلم علما ازداد تواضعا، فإن كان إذا ازداد علما يزداد تكبراً فليعلم أن عنده خلل، هذا ليس علماً نافعاً، العلم النافع الذي يزيدك تواضعاً وإخباتاً، وأنت تعلم أن هذا العلم الذي حصلته قليل جداً، وهذا القليل هو محض فضل الله عليك لا بحولك ولا بقوتك، الله عَزَّوَجَلَّ هو الذي وفق وهو الذي هدى والذي يسر الأسباب، لو شاء جَلَّوَعَلَا لأشغلك في دنياك ولم تستطع أن تقرأ كتابا ولا تحفظ متنا، إذن فالفضل له جَلَّوَعَلَا.

إذا استحضرنا هذا فإننا نتواضع، كلما ازددنا علما تواضعنا لله جَلَّوَعَلَا.

-الهرب من حب الترؤُّس والشهرة والدنيا.

الشهرة الأصل أن طالب العلم لا يطلبها ولا يسعي إليها، ويسعى في الخمول، ألا يُعرف، كما في الآثار عن السلف في هذا، ولكن قد تأتي الشهرة من حيث لا يريد، يعني مثل علمائنا الكبار الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين -رحمهم الله- وسماحة المفتي والشيخ صالح الفوزان -حفظهم الله- جاءتهم الشهرة، هل سعوا إليها؟

لا، لكن هم لما نشروا دين الله عَزَّوَجَلَّ وهذا واجب كفائي على أهل العلم أن يبلغوا دين الله جَلَّوَعَلَا جاءتهم الشهرة، لكن هم ما سعوا إليها، ولهذا فطالب العلم لا يكون قصده الترؤس وأن يشتهر، لا، ولكن إذا جاءته الشهرة فليجاهد نفسه في إخلاص العمل لله عَزَّوَجَلَّ وأن يستثمر هذه الشهرة فيما يرضي الله جَلَّوَعَلَا في تعليم الناس وتوجيه الناس إلى الخير حتى ينتشر دين الله جَلَّوَعَلَا.

-أيضًا يقول: هجر دعوى العلم، يعني لا يدّعي أنه عالِم، مر معنا آثار في هذا.

-أيضًا إساءة الظن بالنفس وإحسانه بالناس تنزها عن الوقوع بهم، يعني لا تقول: أنا عندي علم والناس في جهل ثم تبدأ تزدري الناس، لا، أنت إذا حاسبت نفسك محاسبة دقيقة ستعلم أنك مقصر بحق الله، عندك تقصير، وأيضا علمك ليس بالعلم الغزير، مهما بلغ الإنسان فعلمه قليل، ولهذا الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما جاءه من أثنى عليه وذكروا أشياء كثيرة في الثناء عليه قال لهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا عرف الرجل نفسه لم ينفعه كلام الناس.

الناس ما لهم إلا الظاهر، قد يكون عند الإنسان من خفايا الأمور ما هي مخالفة لأمر الله جَلَّ وَعَلَا.

لو حاسبنا أنفسنا محاسبة شديدة -الله يرحمنا برحمته- من منا يخشع في صلاته؟ الله عَزَّوَجَلَّ يقول ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ مفهوم الآية أن الذي لا يخشع ليس بمفلح، وهذا احتج به بعض أهل العلم على وجوب الخشوع في الصلاة، هذه مسألة واحدة فقط، فلو حاسب الإنسان نفسه الحساب الدقيق لوجد أنه مقصر غاية التقصير.

إذن الأصل في الإنسان أن لا يُزكِّي نفسه ويُسيء الظن بنفسه لأجل أن يترقَّى بها إلى الكمال، لا يقول أنا الكامل ثم ينزل والعياذ بالله إلى أدنى الدرجات.

الطالب:

(زكاةُ العِلْمِ:

أَدِّ زَكاةَ العِلْمِ: صادعًا بالحَقِّ، أَمَّارًا بالمعروفِ، نَهَّاءً عن الْمُنْكَرِ، مُوازِنًا بينَ الْمَصالِحِ والْمَضَارِّ، ناشرًا للعِلْمِ، وحبِّ النفْعِ وبَذْلِ الجاهِ، والشفاعةِ الحسَنةِ للمسلمينَ في نوائِبِ الحقِّ والمعروفِ.

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ:

«إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلِمٌ وغيرُه.

قالَ بعضُ أهلِ العلْمِ: هذه الثلاثُ لا تَجتمِعُ إلا للعالِمِ الباذِلِ لعِلْمِه فبَذْلُه صَدَقَةٌ، يُنْتَفَعُ بها، والْمُتَلَقِّي لها ابنٌ للعالِمِ في تَعَلُّمِه عليه، فاحْرِصْ على هذه الْحِلْيَةِ، فهي رأسُ ثَمرةِ عِلْمِكَ.

ولشَرَفِ العِلْمِ، فإنه يَزيدُ بكثرةِ الإنفاقِ، ويَنْقُصُ مع الإشفاقِ، وآفَتُه الكِتْمَانُ.

ولا تَحْمِلْكَ دَعْوَى فَسادِ الزمانِ، وغَلَبَةِ الفُسَّاقِ، وضَعْفِ إفادةِ النصيحةِ عن واجبِ الأداءِ والبَلاغِ، فإن فَعَلْتَ، فهي فِعْلَةٌ يَسوقُ عليها الفُسَّاقُ الذهَبَ الأحْمَرَ لِيَتِمَّ لهم الخروجُ على الفضيلةِ ورَفْعُ لواءِ الرَّذيلةِ).

زكاة العلم بنشره والدعوة إليه وتعليمه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة، هذه زكاة العلم.

وفيما يتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه ينقسم إلى أقسام:

-إما أن يكون إنكار هذا المنكر يغلب على الظن أن يزول المنكر ويعقبه المعروف، فهذا مطلوب أن ينكر، إذا كنت إذا أنكرت المنكر يغلب على ظنك زوال المنكر فحينئذ يكون الإنكار مطلوبا.

-وأما إذا كنت تعلم أن إنكار هذا المنكر سوف يؤول إلى منكر أعظم، فحينئذٍ لا يجوز أن تُنكِر.

-الثالث: أن يحصل عندك تردد هل إذا أنكرت سوف يزول المنكر أو سوف يزيد؟ هذه محل اجتهاد. يجتهد فيها الذي يتولى الأمر والنهي بحسب ما يغلب على ظنه.

ولهـذا فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحتاج إلى فقه، ولهذا لا ينكر الإنسان إلا بعلم، فإن كان الإنكار على من ولاه الله عَزَّوَجَلَّ أمور المسلمين سواء كان الإمام الأعظم أو من دونه ممن له ولاية فإنه فيه تفصيل، إن كان أمامه وكان الإنكار يؤول إلى مصلحة كما تقدم أنكر عليه، لو تكلم بكلام يخالف الحق أو فعـل فعـلا يخالف الحق وغلب على ظنه أن الإنـكار عليه تتحقق به المصلحة فإنه ينكر، وأما إذا كان الإنكار عليه يؤول إلى مفسدة فلا ينكر.

وأمـا إذا لـم يكـن بحضرته وبلغـه أنه قد حصـل منه منكـر في دولته أو في وزارته أو نحو ذلك من الجهات فهنا يتعين أن يكون النصح سراً إما بالمكاتبة السرية أو المقابلة السرية فيما بينه وبينه، كما جاء عند الإمام أحمد من حديث عيـاض بـن غَنْم -رضي الله تعالى عنه- أن النبـي ﷺ قال: «من أراد أن ينصح لـذي سـلطان بأمر فلا يبده علانيـة، ولكن ليأخذ بيده وليخلُ بـه، فإن قبل منه فذاك، وإلا كان قد أدّى الذي عليه له».

هذا هو المنهج المعروف عن السلف، أنهم ينكرون على الحاكم أو نواب الحاكم فيما بينهم وبينه.

ومـن المعلوم أن النصيحة لعموم النـاس وآحادهم لو كانت علانية فإنه لا يقبل الشخص، يقول هذا يشهّر بي، وقد تأخذه العزة بالإثم، فكيف بولي الأمر الذي جعل له الشرع حقاً أعظم من حقوق آحاد الناس، جعل له السمع والطاعة في المعروف، ولزوم البيعة وعدم الخروج عليه وغير ذلك من الحقوق.

وهـذا هـو طريقة العلماء الراسـخين، أنهـم إذا رأوا منكراً مـن ولي الأمر نصحوه سراً، فإن قبل فالحمد لله، وإن لم يقبل يكونون قد أدّوا الذي عليهم.

وأيضـاً قد يكون لولي الأمر من العذر ما لا يعلمه الناس.

فالنـاس ينظرون بنظر محدود، لكن ولـي الأمر له نظر بعيد وموازنة ونظر في السياسـية وغير ذلك مما يخفى على الناس، فقد يفعل بعض الأشـياء يظنها الناس محرمة ولكنها جائزة لما يحتف بها ملابسات تؤثر في حكمها.

وقد يدرأ شيئا من الشر بشيء آخر، وأنت لا تدري عن هذه الأمور الخفية.

إذن لا يسـتعجل الإنسـان في مثـل هذا، فهـذه طريقة السـلف، أن النصح للحـكام يكون سـرا، وأن طريقة الخوارج أنهم يُظهـرون الإنكار على الحكام ويهيجـون الناس على الحكام، ولهذا عثمـان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه- كيـف آل الأمر إلى أن يحاصـره الخوارج ويقتلونه وهو أفضل أهل الأرض في ذلك الزمان، وهو الحاكم، ومع ذلك أنكروا عليه علانية.

كيـف أنكروا على عثمـان؟ أول ما بدأ الإنكار على عثمـان الإنكار على ولاتـه، قالوا: ولاة عثمـان يفعلون كذا وكذا، ثم آل الأمـر إلى أن ينكروا على عثمان ويطعنوا في عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

هـل بقي الأمر مجرد إنكار؟ لا، آل الأمر إلى الفتنة ووقع السـيف في هذه الأمة، كما قيل: لما وقع السيف لم يُرفع إلى يومنا هذا.

فالمقصـود أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة فيها تفصيل لأهل العلم ينبغي أن يعرفه طالب العلم حتى لا يغتر بمن يدخل عليك من باب الإنكار للمنكر وتهييج العواطف ثم يؤول الأمر إلى أمور لا تحمد عقباها.

الطالب:

(عِزَّةُ العُلماءِ:

التَّحَلِّي بـعِزَّةِ العُلَمَـاءِ: صيانةُ العِلْمِ وتَعظيمُه، وحمايةُ جَنابِ عِزِّه وشَـرَفِه، وبِقَـدْرِ ما تَبْذُلُه في هذا يكونُ الكَسْـبُ منه ومن العَمَلِ به، وبِقَـدْرِ ما تُهْدِرُه يكونُ

الفَوْتُ، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا باللهِ العزيزِ الحكيمِ.

وعليه، فاحْذَرْ أن يَتَمَنْدَلَ بك الكُبراءُ، أو يَمْتَطِيَكَ السفهاءُ، فتُلَاينَ في فَتْوَى أو قضاءٍ أو بَحْثٍ أو خِطابٍ.

ولا تَسْعَ به إلى أهلِ الدنيا، ولا تَقِفْ به على أَعتابِهم، ولا تَبْذُلْه إلى غيرِ أهلِه وإن عَظُمَ قَدْرُه.

ومَتِّعْ بَصَرَك وبَصِيرَتَكَ بقِراءةِ التراجِمِ والسيَرِ لأَئِمَّةٍ مَضَوْا، تَرَ فيها بَذْلَ النفْسِ في سبيلِ هذه الحمايةِ، لا سِيَّمَا مَن جَمَع مُثُلًا في هذا، مثلَ كتابِ (من أخلاقِ العُلماء) لِمُحَمَّد سليمانَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وكتابِ (الإسلامِ بينَ العُلماءِ والحكَّامِ) لعبدِ العزيزِ البَدْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وكتابِ (مَناهِجِ العُلماءِ في الأمْرِ بالمعروفِ والنهيِ عن الْمُنكَر) لفاروقٍ السامَرَّائيِّ.

وأرجو أن تَرى أضعافَ ما ذَكَرُوه في كتابِ عِزَّةِ العُلَمَاءِ يَسَّرَ اللهُ إتمامَه وطَبْعَه.

وقد كان العلماءُ يُلَقِّنُونَ طُلَّابَهُم حِفْظَ قصيدةِ الْجُرجانيِّ عليِّ بنِ عبدِ العزيز، المتوفى سنةَ ٣٩٢ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ كما نَجِدُها عندَ عددٍ من مُتَرْجِمِيه، ومَطْلَعُها:

يقولـون لـي فيـك انقبـاضٌ وإنما ... رأوا رجلا عن موقف الذُل أحجما

أرى الناس مَن داناهمُ هان عندهم ... ومـن أكرمَتـهُ عـزة النفـس أُكرِما

ولـو أن أهل العلم صانـوه صانهم ... ولـو عظّمـوهُ في النفـوس لعَظَّمـا

لعَظَّمَا بفتحِ الظاءِ المعجَمَةِ الْمُشالَةِ).

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي لطالب العلم أن يكون عنده عزة، فأهل العلم يتحلون بالعزة، بمعنى أنهم يحملون هذه الشريعة ويحملون هذا العلم فينبغي لهم أن يعظموا هذا العلم الذي في صدورهم ولا يهينوه بالجلوس مع السفهاء أو بأن يجعلوا هذا العلم طريقا إلى شيء من حطام الدنيا، فهذا إهانة للعلم.

ثـم إنه ذكر قصيدة الجرجـاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وهي قصيدة بليغة ومفيدة في بيان عـزة العلماء، وهي تزيد على العشـرين بيتا يمكن لطالب العلـم أن يراجعها، وإن تيسر حفظها فهي مفيدة.

ذكر فيها:

ولـو أن أهل العلم صانـوه صانهم ولـو عظمـوه في النفـوس لعَظّما.

هكذا قال المؤلف وضبطها.

بعض أهل العلم يقول: لعُظّمَا، يعني لعُظم عند الناس.

وَلَكِـنْ أَهَانُـوهُ فَهَـانَ وَدَنَّسُـوا مُحيَّـاهُ بِالْأَطْمَـاعِ حَتَّـى تَجَهّمَـا

فهذا موجود من زمان قديم إلى يومنا هذا، من يطلب العلم لا للعلم عياذا بالله وإنما لأجل أن يحصّل به الدنيا، وهذا متوعد بوعيد شـديد كما تقدم معنا أن «مـن تعلـم علما مما يُبتغى به وجـه الله لا يتعلمه إلا ليُصيـب به عرضا من الدنيا لم يجد عَرف الجنة يوم القيامة».

يعنـي لم يجد ريحها، فهذا وعيد شـديد يدل علـى أن هذا الفعل من كبائر الذنوب؛ لأنه متوعد بعدم دخول الجنة والعياذ بالله.

ومما يذكـر هنا من بـاب الفائـدة أن الشـيخ الشـاعر محمد بـن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ وهو من تلاميذ الشـيخ سـعد بـن عتيق العلامـة المعروف رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتـوفى سـنة ١٣٤٩ هـ، قاضي الرياض، رثاه الشـيخ محمد بـن عثيمين وهو طبعا غير شيخنا المعروف، شيخنا متأخر، هذا من تلاميذ الشيخ سعد بن عتيق رَحِمَهُ ٱللَّهُ وكان شـاعرا مجيدا للشعر، رثى الشيخ سـعدا بمرثية من عيون الشعر مـن المفيد أن يطلع عليها طالب العلم ويقرأها ففيها رثاء للشـيخ سـعد وفيها أيضا ثناء على العلماء، مطلعها:

أهكـذا البدر تُـخفي نـوره الحفرُ ويفقـد بالعلـم لا عيـنٌ ولا أثـرُ
خبَـتْ مصابيـح كنا نسـتضيء بها وطوّحـت للمغيب الأنجـمُ الزهُرُ

إلى آخرها..

إلى أن قال -لما ذكر العلماء- قال:

لم يجعلـوا سُـلَّمًا للمـال علمهمُ بـل نزهـوه فلـم يلحـق بـه وضَرُ.

لم يجعلوا سُـلَّمًا، ما جعل العلم سُـلَّما للدنيا وللمال بـل نزّه العلم ووقّر العلم، العلم شريف، لا يُجعل سبيلا أو وسيلة إلى حطام الدنيا الزائل.

فالمقصـود من هذا أن طالب العلم ينبغي لـه أن يوقر العلم الذي يحمله، أنت يا طالب العلم لا تمثل نفسك، لا تمثل أنك فلان ابن فلان، لا، أنت الآن تمثـل طلاب العلـم وتمثل العلم الذي تحمله، فينبغـي أن يكون العلم عزيزا، لا تهن العلم بشـيء مـن الدنيا أو بالجلوس مع أهل السـفه وأهل الباطل، هذا ينقـص قدر العلم؛ لأن العامة يقولون: هؤلاء طلاب العلم، هؤلاء المشـايخ، ينتقصون طلبة العلم كلهم، الناس يعمّمون الأحكام، فأنت ينبغي لك أن يكون عندك عزة وأن توقّر ما منّ الله عَزَّوَجَلَّ به عليك من هذا العلم العظيم.

الطالب:

(صِيانةُ العِلْمِ:

إن بَلَغْـتَ مَنْصِبًـا فتَذَكَّـرْ أنَّ حَبْلَ الوَصْلِ إليـه طَلَبُكَ للعِلْـمِ، فبِفَضْلِ اللهِ ثم بسببِ عِلْمِك بلَغْتَ ما بَلَغْتَ من وَلايةٍ في التعليمِ، أو الفُتْيَا أو القضاءِ... وهكذا، فأَعْطِ العِلْمَ قَدْرَه وحَظَّهُ من العمَلِ به وإنزالَه مَنْزِلَتَهُ.

واحْذَرْ مَسْلَكَ مَن لا يَرْجُونَ للهِ وَقَارًا، الذين يَجْعَلون الأساسَ حِفْظَ الْمَنْصِبِ فيَطْوُونَ أَلْسِنَتَهُم عن قولِ الحَقِّ، ويحملُهم حُبُّ الوَلايةِ على الْمُجَارَاةِ.

فالْزَمْ – رَحِمَكَ اللهُ – المحافَظَةَ على قِيمَتِكَ بحِفْظِ دِينِك، وعِلْمِك وشَـرَفِ نفسِـكَ، بحِكْمَةٍ ودِرايةٍ وحُسْـنِ سِياسـةٍ: احْفَظْ اللهَ يَحْفَظْكَ احْفَظِ اللهَ في الرخاءِ يَحْفَظْكَ في الشدَّة.

وإن أَصْبَحْـتَ عاطلًا من قِلادةِ الوِلايةِ – وهذا سـبيلُك ولـو بعدَ حينٍ – فلا بأسَ، فإنه عَزْلُ مَحْمَدَةٍ لا عَزْلُ مَذَمَّةٍ ومَنْقَصَةٍ.

ومن العجيبِ أنَّ بعضَ مَن حُرِمَ قصدًا كبيرًا من التوفيقِ لا يكونُ عندَه الالتزامُ والإنابةُ والرجوعُ إلى اللهِ إلا بعدَ التقاعُدِ، فهذا وإن كانت تَوبَتُه شرعيَّةً، لكن دِينَه ودِينَ العجائزِ سـواءٌ، إذ لا يَتَعَدَّى نَفْعُه، أمَّا وَقْـتُ وِلايتِه حالَ الحاجةِ إلى تَعَدِّي نَفْعِـه، فتَجِدُه من أَعْظَمِ الناسِ فُجورًا وَضَرَرًا، أو باردَ القلْبِ أَخْرَسَ اللسـانِ عن الْحَقِّ، فنَعوذُ باللهِ من الْخِذلانِ).

الكلام واضح.

الطالب:

(الْمُداراةُ لا الْمُداهَنَةُ:

الْمُداهَنَـةُ خُلُـقٌ مُنْحَـطٌّ، أمَّا الْمُـدارَاةُ فلا، لكـن لا تَخْلِطْ بينَهمـا فتَحْمِلَك المداهَنَةُ إلى حَضَارِ النفاقِ مُجاهَرَةً، والْمُداهَنَةُ هي التي تَمَسُّ دِينَك.

المـداراة لا المداهنة، والفـرق بين المداراة والمداهنـة، أن المداهنة محرمة والمـداراة جائـزة، والمداهنة أن ترضى بما عليه المخالـف لك، ترضى بما عليه أهـل الباطـل هذا لا يجوز، وأما المداراة فأنـت لا ترضى بما هم عليه ولكنك قد تؤخر الإنكار عليهم وبيان ما هم عليه من الباطل إلى وقت يكون مناسـبا؛ لأجل تحقيق مصلحة أو لأجل دفع مفسـدة، هذه تسـمى مداراة، فأحيانـا مع الكافر أو المبتـدع تجـد أنك لا تتكلم معه في شـيء، ليـس ذلك عن رضا بمـا هو عليه، لو

رضيت بما هو عليه لكانت مداهنة، لكن أنت لا ترضى بما هو عليه ولكنك تداريه لأجل أنك قد تخشى شره لو أنكرت عليه ربما يحصل مفسدة كبيرة، فيداري ،أو مثلا تريد تحقيق مصلحة أكبر فتداريه، لا تنكر عليه الآن، تؤجل هذا إلى وقت آخر يكون مناسبا أو بطريقة أفضل، هذه مداراة، فهي جائزة ولا بد فيها من علم.

الطالب:

(الغَرامُ بالْكُتُبِ:

شرَفُ العِلْمِ معلومٌ لعُمومِ نَفْعِه، وشِدَّةُ الحاجةِ إليه كحاجةِ البَدَنِ إلى الأنفاسِ، وظهورُ النقْصِ بقَدْرِ نقْصِه، وحصولُ اللذةِ والسرورِ بقَدْرِ تحصيلِه، ولهذا اشْتَدَّ غَرامُ الطُّلَّابِ بالطلَبِ، والغَرامُ بجَمْعِ الكُتُبِ مع الانتقاءِ، ولهم أَخبارٌ في هذا تَطُولُ، وفيه مُقَيَّدَاتٌ في خبرِ الكِتابِ يَسَّرَ اللهُ إتمامَه وطَبْعَهُ.

وعليه، فأَحْرِزِ الأصولَ من الكُتُبِ، واعْلَمْ أنه لا يُغْنِي منها كتابٌ عن كتابٍ ولا تَحْشُرْ مَكتبَتَكَ وتُشَوِّشْ على فِكْرِك بالكُتُبِ الغُثَائِيَّةِ، لا سِيَّمَا كُتبَ المبتدِعَةِ، فإنها سُمٌّ ناقع).

لا بد لطالب العلم من آلة، ما هي آلة طالب العلم؟ الكتب.

يقول:

كان أحد العلماء تلومه امرأته، تقول أموالك كلها أنفقتها في الكتب، فقال لها:

وقائلةً أنفقتَ في الكتْب ما حوَت ... يمينُك من مالٍ فقلتُ دعيني

لعلي أرى منها كتابا يدلني ... لأخذ كتابي آمنا بيميني

وقيل لبعضهم: لماذا تنفق الأموال على شراء الكتب؟ قال إنما تكون الصنعة بحسب الآلة.

فآلـة طالب العلم هـي: الكتب، كيف يراجع المسـائل ويبحث المسـائل ويقرأ إلا عن طريق الكتب.

وفي هذا الزمان قد يسر الله عَزَّوَجَلَّ عليك، فالكتب بل المكتبات تحملها في جيبك، ما كان هذا متهيئا إلى عهد قريب.

ذكـروا لنا عن المشـايخ المعاصريـن الآن -كبار العلمـاء- أول ما بدأت الدولة السـعودية -جـزى الله ولاة أمرها خير الجـزاء- كان الناس في فقر وفي حاجـة، ما يسـتطيعون أن يشـتروا الكتـب، فكانت الدولـة تطبع أيـام الملك عبـد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ومن بعده من ملوك هذه الدولة -جزاهم الله عن الإسـلام والمسـلمين خير الجزاء- تطبع الكتب وتوزعها على طلاب العلم، بل أدركنا هذا في كلية الشريعة، وزع علينا بعض الكتب.

فالمقصـود أن طالـب العلم ينبغي لـه أن يعتني بالكتـب، والآن يمكن أن نقسم الكتب على قسمين:

-كتـب ورقيـة، المعروفة، تكـون في مكتبتك وتنشـئ لك مكتبـة وترتبها وتجمع فيها المراجع.

-وأيضـا المكتبـة الإلكترونية، عنـدك المكتبة الشـاملة، وعندك مكتبات أخـرى معروفة ممكن تجمع بيـن الكتب الورقية والإلكترونية، وتسـتفيد من هذه ومن هذه.

لكن من طلاب العلم من لا يلتذ بقراءة الكتاب إلا إذا كان ورقيـًا؛ لأجل أن يخطط على المسـائل المهمة ويُعلق عليها ويضيف إليها، وقد يسـتدرك عليها ويقيـد الفوائد كمـا عرفتم، هذا ما أدري أنا لا أفهم كثيرا في الأمور الإلكترونية لكـن بعضهم يقول يمكن التعليق على الكتاب الإلكتروني، لكن أنا ما اعتدت

على هذا ولا أعرفه، من كان يحسنه ويمكن أن يقوم هذا مقام الكتاب الورقي فلكلٍ مشربُه.

المقصود أنك تقتني الكتب وتعتني بها لأنها هي المرجع لك، وأحياناً تمر بك بعض الكتب وترى أنه لا حاجة إليها ثم تأتي مسألة مشكلة عليك وتتمنى أنك لو اشتريت هذا الكتاب ثم تبحث عنه وإذا به قد نفد من الأسواق، ما تجده.

يعني لا تقول كلما أردت كتابا سأشتريه، لا، الكتب حين تنزل متوفرة، ثم تنفد من الأسواق ثم لا تطبع مرة ثانية تبحث عنها ما تجدها، اللهم إلا ما يسر الله عَزَّوَجَلَّ في هذا العصر، فقد تجدها عن طريق النت أو عن طريق الكتب الإلكترونية.

الطالب:

(قِوامُ مَكتبَتِكَ:

عليك بالكُتُبِ الْمَنسوجَةِ على طريقةِ الاستدلالِ، والتَّفَقُّهِ في عِلَلِ الأحكامِ، والغَوْصِ على أسرارِ المسائلِ، ومن أَجَلِّها كتُبُ الشيخينِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تَيْمِيَةَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وتِلميذِه ابنِ قَيِّمِ الْجَوْزِيَّةِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وعلى الجادَّةِ في ذلك من قَبْلُ ومن بعدُ كُتُبُ:

الحافظُ ابنُ عبدِ البَرِّ م سنة ٤٦٣ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وأَجَلُّ كُتُبِه التمهيدُ.

الحافظُ ابنُ قُدامَةَ م سنة ٦٢٠ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، وأَرْأَسُ كُتُبِه الْمُغْنِي.

الحافظُ ابنُ الذهبيِّ م سنة ٧٤٨ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الحافظُ ابنُ كثيرٍ م سنة ٧٧٤ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الحافِظُ ابنُ رَجَبٍ م سنةَ ٧٩٥ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الحافظُ ابنُ حَجَرٍ م سنةَ ٨٥٢ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الحافظُ الشوكانيُّ م سنةَ ١٢٥٠ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

الإمامُ مُحَمَّدُ بنُ عبدِ الوَهَّابِ م سنةَ ١٢٠٦ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

كُتُبُ عُلماءِ الدعوةِ، ومن أَجْمَعِها الدُّرَرُ السنِيَّةُ.

العلامَـةُ الصنعـانيُّ م سـنةَ ١١٨٢ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ، لا سِـيَّمَا كتابُه النافعُ سُـبُلُ السلامِ.

العَلَّامَةُ صِدِّيقُ حسن خان القنَّوجيُّ، المتوفى سنةَ ١٣٠٧ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

العَلَّامَةُ محمَّدٌ الأمينُ الشِّـنقيطيُّ م سـنة ١٣٩٣ هـ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لا سِـيَّمَا كتابُه أضواءُ البيان).

طالـب العلم يحرص على أن يقتني كتب هـؤلاء العلماء المحققين، وقد عرفنا أنه لا يدخل في قراءة المطولات حتى يتقن مبادئ العلوم.

ذكر الشيخ جملة من العلماء، ليس هذا حصراً وإنما تمثيل، وإلا يمكن أن نضيف كتب سـماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، كتب الشيخ ابن عثيمين، كتب الشيخ ابن فوزان، كتب الشيخ بكر نفسه، المؤلف -رحمهم الله جميعـًا-.

فالمقصود أن هذا تمثيل.

لكـن أنبـه إلـى أن كتب الشـيخين ابن تيميـة وابن القيـم -رحمهما الله- علماؤنـا بل أئمة الدعوة النجدية لهم عنايـة بهذه الكتب عناية كبيرة جدا جدا، ولكن كتب ابن القيم أيسـر في الفهم من كتب ابن تيمية، ابن تيمية عبارته قوية جـدا، فالأولى والله أعلم إذا تأهلت لقراءة الكتب بعد تجاوز المرحلة الأولى فإنك تبدأ بكتب ابن القيم فإنها أسـهل وأيسـر ، وأيضـًا هي تحتاج إلى ترتيب،

تقـرأ هـذا الكتـاب قبل هذا الكتـاب؛ لأن بعـض الكتب عنده تحتاج إلى فهم أعمق وقد يصعب فيها فهم بعض المسـائل، لكن ابن القيم في الجملة كلامه أيسر وأسهل من كلام ابن تيمية -رحمهما الله جميعا-.

الطالب:

(التعامُلُ مع الكتابِ:

لا تَسْتَفيد من كتابٍ حتى تَعْرِفَ اصطلاحَ مؤَلِّفِه فيه، وكثيرًا ما تكونُ الْمُقَدِّمَةُ كاشفةً عن ذلك، فابْدَأْ من الكتابِ بقراءةِ مُقَدِّمَتِه).

هـذا مهم جـدا، لا تقرأ كتابا حتـى تقـرأ المقدمة؛ لأن المؤلـف قد يذكر مصطلحات أو منهجا يسـير عليه في هذا الكتاب، بعض الكتب وأنت تقرأ فيها تجد رموزا، «و» مثلا، ماذا يريد بواو؟

هـذا لا تعرفـه إلا عـن طريق الرجـوع إلى المقدمـة، يقـول: إذا قلت واو فالمراد به كذا وكذا، أو أحيانا يقول: شيخنا، ماذا يريد بقوله: شيخنا؟

مشايخه كثر، مَن هو المراد؟

المراد ما ذكره في المقدمة.

أحيانا يقول: شيخ الإسلام.

لا تظنوا شـيخ الإسـلام فقط ابن تيمية، عدد من العلماء أطلق عليه شـيخ الإسلام، شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وغيره.

طيب إذا قال شيخ الإسلام، ماذا يريد المؤلف؟

إمـا أن يُعرف هـذا بنصه في المقدمـة أو يعرف بما جرى عليـه علماء هذا المذهب أو هذه المدرسة العلمية، وقد يدل على ذلك السياق.

المقصـود أن المصطلحـات مهـم أن تعرفها، ومـن طرق معرفتهـا قراءة المقدمة.

الطالب:

(- ومنه:

إذا حُـزْتَ كِتابًـا، فـلا تُدْخِلْه في مَكتبتِـك إلا بعدَ أن تَمُرَّ عليه جَـرْدًا أو قراءةً لِمُقَدِّمَتِه، وفِهْرِسِـه، ومواضِعَ منه، أمَّا إن جَعَلْتَه مع فَنِّه في الْمَكتبةِ، فرُبَّما مَرَّ زمانٌ وفاتَ العُمُرُ دونَ النَّظَرِ فيه، وهذا مُجَرَّبٌ، واللهُ الْمُوَفِّقُ).

إذا اشـتريت كتابـا، مثلا كتاب في الحديث، فتضعه مـع كتب الحديث، في الفقه فتضعه مع كتب الفقه، لا، اقرأ المقدمة، اقرأ الفهرس؛ حتى تعرف ما هي المسـائل التي في هذا الكتاب، اقرأ موضعـا أو موضعين منه حتى يكون عندك تصور عن الكتاب بحيث لو مرت بك مسـألة مشـكلة مباشـرة ذهنك ينصرف إلى أنها موجودة في هذا الكتاب فترجع إليه وتجدها، هذا مهم جدا.

طبعا إن تيسـر لك ألا تضعه في الدرج إلا بعد المرور عليه ولو مرور جرد -كما قال الشيخ- مرورا سريعا فهذا هو الأولى.

الطالب:

(إعجامُ الكتابةِ:

إذا كَتَبْتَ فأَعْجِم الكتابةَ بإزالةِ عُجْمَتِها، وذلك بأمورٍ:

وضوحُ الخطِّ.

رَسْمُه على ضَوْءِ قواعدِ الرسْمِ الإملاءِ.

وفي هذا مؤلَّفاتٌ كثيرةٌ من أَهَمِّها:

كتابُ الإملاءِ لحسين والي. قواعدُ الإملاءِ لعبدِ السلامِ محمد هارون.

الْمُفْرَدُ العَلَمُ للهاشميِّ، رَحِمَهُم اللهُ تعالى.

النَّقْطُ للمُعْجَمِ والإهمالُ للمُهْمَلِ.

الشَّكْلُ لِمَا يُشْكِلُ.

تَثبيتُ عَلاماتِ الترقيمِ في غيرِ آيةٍ أو حديثٍ).

إعجام الكتابة، يعني إذا كتبت فاكتب كتابة صحيحة.

ثم ذكر ما يتعلق بالإملاء، وأضيف أيضا: الخط؛ لأنه في الحقيقة توجد معاناة كبيرة جدا من بعض الطلاب إذا رأيت خطوطهم، بعضها مُستغلق جداً جداً، ما يكاد يُقرأ.

هذا فضلا عن الأخطاء الإملائية، وأما أمر الهمزات فحدّث ولا حرج، هذه ما يحسنها إلا القليل.

إذن طالب العلم عيبٌ عليه حقيقة أن يكون خطه ما يُقرأ.

أن يكون خطه جميلا هذا نور على نور، لكن أقل شيء وأدنى شيء أن كل من قرأ خطك يفهم ويعرف المراد.

الأمر الثاني: عيب على طالب العلم أن يخطئ في الإملاء، ولو أننا درسنا في المدارس دراسة قوية فالغالب أننا ندرس الإملاء، أليس كذلك؟ لكن جملة ممن يدرس لا يتقن أو قد لا يوفق بمعلم يعلمه التعليم الصحيح، إذن أنت الآن تستدرك ما عندك من نقص يا طالب العلم، من جهة الخط ومن جهة الإملاء.

وذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عددا من الكتب التي تفيد، والآن توجد دورات يمكن عن طريق النت الآن أن تدخل وتحضر دورات معينة إما في الخط أو في الإملاء لتكمل ما عندك من النقص في هذا.

الطالب:

(الفصلُ السابعُ

الْمَحاذِيرُ

حلم اليَقَظَةِ:

إيَّـاك وحِلْـمَ اليَقَظَةِ، ومنه بأن تَدَّعِيَ العلْمَ لِمَا لم تَعْلَـمْ، أو إتقانَ ما لم تُتْقِنْ، فإن فَعَلْتَ، فهو حِجابٌ كَثيفٌ عن الْعِلْم).

هذا الفصل عقده المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لبيان المحاذير التي ينبغي أن يحذر منها طالب العلم.

فـأول هذه المحاذير: حلم اليقظـة، وذلك بأن يدعي طالب العلم أنه يعلم وهـو لا يعلم، أو أنه أتقن الفن الفلاني أو المسـألة الفلانية وهو لم يتقن ذلك، وقد قال النبي ﷺ «المتشبع بما لم يُعطَ كلابس ثوبَي زور».

يعني أنه يتظاهر بما ليس عنده أنه عنده، فهذا كمن يلبس ثوبين ليسـا له، إما استعارها أو استأجرها ويُظهر أنها ملك له، كلابس ثوبي زور، والزور هو الباطل.

الطالب:

(احْذَرْ أن تكونَ أبا شِبْرٍ:

فقد قيلَ: العلْمُ ثلاثةُ أَشـبارٍ، مَن دَخَلَ في الشـبْرِ الأَوَّلِ، تَكَبَّـرَ، وَمَنْ دَخَلَ في الشبْرِ الثاني، تَواضَعَ، ومَن دَخَلَ في الشبْرِ الثالثِ، عَلِمَ أنه ما يَعْلَمُ).

احذر أن تكون أبا شبر.

الذي يدخل في الشبر الأول يتكبر لأنه يرى أنه عالم ثم يتكبر، والشبر الثاني إذا دخل فيه علم أنه ليس عالما فيتواضع، وأما الشبر الثالث علم أنه ما يعلم.

ومن المعلوم أنه إذا كان يعتقد في نفسه أنه ليس عنده علم سوف يتواضع ،ولكن وإن كان الإنسان إذا حصَّل من العلم قدرًا مناسبًا وهو يزدري نفسه كما تقدم ولا يدّعي أنه بلغ في العلم مبلغًا عظيمًا هذا لا ينبغي أن يمنعه من نشر العلم إذا تأهل لنشره في دعوة وتعليم وتأليف إذا تأهل لهذا، يعني قوله: الشبر الثالث عَلِمَ أنه ما يعلم، قد يفهم منه الطالب أنه لا يفعل شيئا، لا يدعو إلى الله ولا يعلّم العلم ولا يؤلِّف المؤلفات النافعة، هذا ليس مراده، لكن في نفسه وإن بلغ في العلم مبلغا عاليا يزدري نفسه، لكن هل معنى ذلك أنه لا يبلّغ؟ لا، يجب عليه أن يبلغ وجوبا كفائيا، الدعوة إلى الله واجب كفائي، تعليم العلم واجب كفائي، وأنتم ترون الآن قلة الدعاة إلى الله عَزَّوَجَلَّ الذين هم على منهج السلف الصالح.

فمن تأهل يُبلغ من العلم ما يعلم، ولا يُكلِّف نفسه ما لا يُطيق فيتكلم فيما لا يُحسنه من العلم.

الطالب:

> **(التَّصَدُّرُ قبلَ التأَهُّلِ:**
>
> **احْذَرِ التَّصَدُّرَ قبلَ التأَهُّلِ، فهو آفةٌ في العِلْمِ والعَمَلِ.**
>
> **وقد قيلَ: مَن تَصَدَّرَ قبلَ أَوانِه، فقد تَصَدَّى لِهَوَانِهِ).**

الطالب، لا يستعجل، ولا يتصدر في التأليف ولا يتصدر في الفتوى ولا في غير ذلك، حتى يتأهل، ولهذا كان العلماء -رحمهم الله- لا يُفتون حتى يشهد لهم مشايخهم بأنهم أهل للفتوى، وهذا تجدونه في السيَر، إذا قرأتم في تراجم العلماء: فأذِن له شيخه أن يفتي، أو أذِن له شيخه أن يعلّم ويجلس للتدريس، فهذا لا يكون إلا بعد التأهل لهذه المرحلة من نشر العلم والتصدي له.

الطالب:

(التَّنَمُّرُ بالعِلْمِ:

احْذَرْ ما يَتَسَلَّى به الْمُفْلِسُونَ من العِلْمِ، يُراجِعُ مسألةً أو مسألتين، فإذا كان في مَجلسٍ فيه مَن يُشارُ إليه، أثارَ البحثَ فيهما، ليُظْهِرَ عِلْمَه، وكم في هذا من سَوْأَةٍ، أقَلُّها أن يَعلمَ أنَّ الناسَ يَعلمونَ حقِيقَتَه. وقد بَيَّنْتُ هذه مع أخواتٍ لها في كتابِ التعالمِ والحمْدُ للهِ رَبِّ العالمينَ).

هذه في الحقيقة خصلة ذميمة توجد في بعض طلاب العلم، وهو أنه إذا علم أنه سوف يجتمع مع طلاب علم أو مع أحد العلماء ماذا يصنع؟ يبحث مسألة دقيقة من مسائل العلم ثم إذا جلس أثار هذه المسألة مع ذلك العالم أو مع طلاب العلم، فإذا أثارها فالغالب أن من حوله قد لا يكونون أتقنوا المسألة؛ لأن المسألة دقيقة، فهذا جمع فيها الأقوال والاستدلال وكلام أهل العلم وعهده بها قريب، فيتكلّم في المسألة يظهر ماذا؟ يظهر أنه عالم وأنه عارف بدقائق المسائل، هذه خصلة ذميمة، وهذا يعرف عند أهل العلم، يعرفونه؛ لأنه معلوم أن هذه المسائل الدقيقة ما تكون مستحضرة دائما، ولذلك لو سئل عن غيرها مما يشابهها لما أحسن الجواب، وإنما هذه درسها وراجعها قبل أن يجتمع بهؤلاء، فهذا أمر شنيع لا يحل لطالب العلم أن يفعله، وإنما إذا عُرضت المسائل للمباحثة والمناقشة بين أهل العلم إن كانت حاضرة عند تكلم بما يعلم وإذا لم يكن عنده علم يستفيد من إخوانه، أما أن يسلك هذا المسلك فإن هذا مما يُذَم.

الطالب:

(تَحْبِيرُ الكَاغَدِ:

كما يكونُ الحذَرُ من التأليفِ الخالي من الإبداعِ في مَقاصِدِ التأليفِ الثمانيةِ،

والـذي نِهايتُـه تَحبيرُ الكاغَـدِ فالْحَذَرَ من الاشـتغالِ بالتصنيفِ قبلَ اسـتكمالِ أَدواتِـه، واكتمالِ أَهْلِيَّتِكَ، والنضوجِ على يَدِ أشـياخِك، فإنك تُسَـجِّلُ به عارًا، وتُبْدِي به شَنَارًا.

أَمَّا الاشـتغالُ بالتأليفِ النافعِ لِمَن قامَتْ أَهْلِيَّتُه، واسـتَكْمَلَ أَدواتِه وتَعَدَّدَتْ مَعارِفُه، وتَمَرَّسَ به بَحْثًا ومُراجعةً ومُطالَعَةً وجَرْدًا لِمُطَوَّلاتِه وحِفْظًا لِمُخْتَصَرَاتِه، واستذكارًا لمسائلِه، فهو من أَفْضَلِ ما يَقومُ به النُّبلاءُ من الفُضلاءِ.

ولا تَنْسَ قولَ الْخَطيبِ: مَن صَنَّفَ، فقد جَعَـلَ عقْلَه على طَبَقٍ يَعْرِضُه على الناس.)

الشـيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ يحذّر أن يؤلّف طالـب العلم قبل التأهـل، ولهذا تجد بعـض العلماء ألفـوا مؤلفات في وقت الشـباب وقت التحصيل ثـمّ لما كبروا وصـار لهم شـأن ظهـر لأهـل العلم أن تلـك المؤلفـات التي ألفـت في وقت الشـباب لم تكن محررة، واسـتُدرك عليها أشياء، بل إن طالب العلم إذا بلغ في العلم مبلغا يندم على ما ألف ونشر في وقت الشباب.

طبعا لا يقال لك: لا تبحث، لا، ابحث، لكن الكلام على النشر.

ولهـذا بعض طلبة العلم بحثوا في أيام الطلب وأيام الشـباب لكن جعلوها في الأدراج ما نشـروها، من باب أنه يتدرب علـى البحث ويتعود عليه ويعرف كيف يبحث، هذا لا إشـكال فيه، لكن أن تنشـر قبل أن تتأهل: هذا لا يصلح، إذا تأهل الإنسان يقول الشيخ هذا من القربات لله عَزَّوَجَلَّ في نشر العلم أن يؤلف الإنسان وينفع الأمة.

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقاصد التأليف الثمانية، ما هي هذه الثمانية؟

هـذا يذكرها أهل العلـم ممن يعتني بالـكلام في طريقـة التأليف ومقاصد

التأليف، أذكرها باختصار:

-الأول: اختراع معدوم.

ومعنى اختراع معدوم يعني لم يُسبق إلى هذا التأليف، أتى بشيء مبتكر من عنده.

-والثاني من المقاصد: جمع مفترق.

وهذا كثير، أن يجمع مثلا الأحكام المتعلقة بالإبل مثلاً أو الأحكام المتعلقة بالخاتم تجدها متفرقة في كلام أهل العلم لا يجمعها كتاب واحد أو موضع واحد، هذا جمع متفرق هذا مقصد من مقاصد التأليف.

- أو تكميل ناقص.

كأن يكون أحد العلماء ألف مؤلفاً لكن لم يكمله فجاء من بعده فأكمله، وهذا مثل النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ شرح المهذب للشيرازي ووقف على أول المعاملات، جاء بعده السبكي فأتم منه قطعة من المعاملات، وجاء بعده المطيعي فأتمه إلى آخره، هذا تكميل ناقص.

- الرابع: تفصيل مجمل.

وهذا ربما نمثل له بشرح المتون الفقهية أو المتون في العلوم عموما؛ لأن المتون تكون العبارات مختصرة، تحتاج إلى شرح، وإلى بسط وبيان ما فيها من إجمال.

-أيضا تهذيب مطوّل.

مثل تهذيب الكمال وتهذيب التهذيب، يكون الكتاب مطولا، فيأتي من يهذبه.

-أيضا من المقاصد: ترتيب مختلط.

ومـن أمثلـة ذلك التمهيد لابن عبـد البر، فإنه رتّبه على شـيوخه ولم يرتبه علـى الأبـواب الفقهية، فجاء بعض المعاصرين ورتبه علـى أبواب الفقه، هذا ترتيـب مختلط لأنه أيسـر، إذا أردت أن تعرف كلامـه في المياه مثلا ترجع إليه تجده مجموعا، كلامه مثلا في صلاة الاستسقاء تجده مجموعا، هذا مقصد من مقاصد التأليف.

-أو تعيين مبهم.

كأن يكون الكتاب فيه مبهمات من أسماء الرجال أو الأماكن أو غير ذلك فيأتي من يؤلف ويبين هذه المبهمات.

-أو تبيين خطأ.

كمـا ألف أحد أهـل العلم كتابا وفيه أخطـاء، فيأتي عالم ويبيـن ما في هذا الكتـاب مـن الخطأ، وهذا قـد يدخل فيه الـردود على المخالفيـن، يقول هذا الكتـاب فيه مخالفة في كذا ومخالفـة في كذا، وقد تكون مخالفات عقَدية، وقد تكون دون ذلك.

المقصود أن هذا مقصد من المقاصد.

ما سـوى هذه الثمانية فالشـيخ يقول: لا تتعب نفسك، إنما هو هي تسويد الكاغـد، والكاغد هو القرطـاس، يعني تصرف الحبر على هذه الأوراق بما لا طائل من ورائه.

وهذا مهم الآن عندنا في الدراسـات العليا في الأقسـام العلمية، يطلب من الطالـب عند تقديم خطة البحث أن يكـون عنده إضافة علمية، ما معنى إضافة علميـة؟ يعني إضافة على من سـبقك، طبعا قد يأتي بشـيء لـم يتكلم فيه أحد وهـذا إن وجد يدخل في الأول، اختراع معدوم، لكن هذا نادر، وقد يكون هذا

في نـوازل عرضت في هذا العصـر ليس فيها كلام للمتقدميـن، لكن هذا قليل، وقـد تكون المسـألة فيها بحوث، فيها كلام لأهل العلـم لكن يقول: أنا عندي إضافـة علـى ما ذكروا، فتلحـظ هنا أنه توجـد إضافة كافية لتميـز هذا الكتاب وهـذا البحث عن غيره، وإلا لو أتى شـخص وألف مثـلا في زكاة الحلي، هذا الموضـوع قـد قتل بحثـًا، ربما تجد عشـرة كتب أو أكثر أفردت هذه المسـألة بالكلام، ماذا سوف يزيد عليها؟ نعم لو قال: عندي إضافة على سبيل التسليم وهي كذا وكذا، إضافة معتبرة تسـتحق أن يؤلف مؤلفا في هذا الموضوع، نعم، لكن إذا لم يكن عنده إضافة فالحقيقة أن هذا مضيعة للوقت، ينبغي أن تصرف الهمم في التأليف إلى شيء فيه إضافة إلى المكتب العلمية، أما تكرار البحوث كما نجد أحيانا فهذا ليس بجيد.

الطالب:

(مَوْقِفُكَ مِن وَهْمِ مَن سَبَقَكَ:

إذا ظَفِـرْتَ بوَهْـمٍ لعالِمٍ، فـلا تَفْرَحْ به للحَـطِّ منه، ولكن افْـرَحْ به لتصحيحِ المسـألةِ فقطْ، فإنَّ الْمُنْصِفَ يَكادُ يَجْزِمُ بأنه ما من إمامٍ إلا وله أغلاطٌ وأوهامٌ، لا سِيَّمَا الْمُكْثِرِين منهم.

وما يُشَـغِّبُ بهذا ويَفْرَحُ به للتَّنَقُّصِ، إلا مُتعالِمٌ يُريدُ أن يُطِبَّ زُكامًا فيُحْدِثَ به جُذَامًا.

نعـمْ، يُنَبِّهُ على خَطأٍ أو وَهْمٍ وَقَعَ لإمامٍ غُمِرَ في بَحْرِ عِلْمِه وفَضْلِه لكن لا يُثيرُ الرَّهَجَ إليه بالتنَقُّصِ منه والْحَطِّ عليه فيَغْتَرَّ به مَن هو مِثْلُه).

يقـول: يا طالب العلم إذا وقفت على خطأ ممن سـبقت من أهل العلم أو حتـى مـن المعاصرين لـك فإنك لا تفرح بزلتـه هذا يدل على سـوء النية وأنه

يفـرح عياذا بالله بخطأ أهل العلم، هـذا لا يجوز، لا يجوز أن يفرح بهذا، وإنما يفرح أن وفقه الله عَزَّوَجَلَّ لمعرفة الحق في المسألة، نقول نعم تفرح بهذا وتلتمس العذر لذلك العالم فيما وقع فيه من خطأ.

ومن المعلوم أن المسائل قد تكون مسائل اجتهادية، والمسائل الاجتهادية ما فيها تخطئة ولا فيها تضليل، يعني مثل مسـألة ذكرتها قبل قليل، الخلاف في زكاة الحلي هل تجب الزكاة فيه أو لا تجب، مسألة اجتهادية لا يشنع فيها على أحد، من اختار هذا القول بناء على ما ظهر له من الدليل فلا يشـنّع عليه، ومن اختـار القـول الآخر بنـاء على ما ظهر له من الدليل فلا يشـنّع عليه، المسـائل الاجتهاديـة مـا فيها إنـكار، وإنمـا يكون الإنـكار على من خالـف إجماعا أو خالف نصا صحيحا صريحا لا معارض له، نعم فهذا ينكر عليه.

إذن إذا وجـدت خطأً لمن سـبق أو للمعاصريـن أولا تحمد الله عَزَّوَجَلَّ أن بصَّـرك وعرَّفك حتـى لا تقع فيما وقع فيه مـن الخطأ، ثم تُنبِّـه عليه بالطريقة المناسـبة، فمن عُرف بالعلم والتقوى والسـابقة في الخير ومن أهل السنة هذا نقول: أخطاؤه مغمورة في بحر حسناته ،وحينئذ لا يشنّع عليه ولكن يُبَيِّن الخطأ بألطـف عبـارة، وأيضا لا يُبَيِّن الخطـأ كلُّ أحد، وإنما يُبَيِّنـه من كان أهلا لأن يتكلـم في هـذا وأن يرد على العلماء؛ لأن بعض صغار طلاب العلم قد يظنون أن ذلـك العالم أخطـأ والحقيقة أن هذا الطالب هو المخطئ في الفهم، ما فهم كلام العالم، وإنما يتجرَأ على تخطئة العلماء، هذا لا ينبغي، لكن من تأهل في العلم وتبَيَّن له بوضوح وقوع الخطأ من ذلك العالم فإنه يرد عليه بردٍ مناسب؛ لأن له سـابقة في العلم والفضـل، وأما أهل البدع الذين ظهـر اتباعهم للهوى ومعاندتهـم فهـؤلاء لا كرامـة لهم، يرد عليهـم بل قد يغلظ عليهـم إذا كان في التغليـظ مصلحة، فإن أهل العلم قـد غلظوا في ردودهم على المخالفين يعني

من أهـل الأهواء والذين عُرف سـوء قصدهم واتباعهـم لأهوائهم لا للحق، فهذا يختلف.

أما ما ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ من الخطأ الذي يقع من بعض العلماء الذين لهم سابقة فهذا يُتلطف معه ويُعتذر له بقدر ما يمكن.

الطالب:

(دَفْعُ الشُّبُهَاتِ:

لا تَجْعَلْ قلبَك كالسِّـفِنْجَةِ تَتَلَقَّى ما يَرِدُ عليها فاجْتَنِبْ إثارةَ الشُّـبَهِ وإيرادَها على نفسِـك أو غيرِك، فالشُّـبَهُ خَطَّافةٌ والقلـوبُ ضَعيفةٌ وأَكْثَرُ مَـن يُلْقِيهَا حَمَّالَةُ الْحَطَبِ - المبتَدِعَةُ - فتَوَقَّهُم).

يعني ينتبه طالب العلم من الشُّـبه، الشُّبه قد ترد عليك في قراءة كتاب أو في سـماع من شـخص أو أحيانا قد يلقيها الشيطان في قلبك، فتنتبه لهذا، لا تجعل قلبـك يلتفت لهذه الشـبهات ويسترسـل مع هذه الشـبهات، لا، ادفعها عنك، خاصـة في البداية، في بداية الطلب؛ لأن الإنسـان لم يتمكـن من العلم، كم من الأمـور المشـكلة أو الشـبهات التي تثار، مـع التقدم في العلم تـزول هذه كلها وتكون عندك الأمور بإذن الله واضحة بينة.

لكن لو أن الإنسـان استرسـل مع الشُّـبَه ربما ضل في أول الطريق، فليكن حذرا، طريق أهل السـنة والجماعة معروف، وسـبقك علماء ساروا على هذا الطريق فوصلوا، فسِر أنت على هذا الطريق، ليست المسألة أنني الآن أريد أن أعرف ما هو الصواب، لا، الصواب طريق أهل السـنة والجماعة بيقين لا تردد عندي في هذا، أسير على هذا الطريق.

قـد تُثـار عليك شُـبه أن هذا الطريـق فيه كـذا أو يلحظ عليه كـذا، هذه لا

تلتفت إليها ولا تُقبل عليها ولا تستمع إليها، فأنت مع تحصيلك للعلم ستزول بإذن الله كل هذه الشُبه.

الطالب:

(احْذَر اللَّحْنَ:

ابْتَعِدْ عن اللحْنِ في اللفظِ والكتب؛ فإنَّ عَدَمَ اللحْنِ جَلالةٌ وصفاءُ ذوقٍ ووُقوفٌ على مِلاحِ المعاني لسلامةِ الْمَبانِي، فعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قالَ: تَعَلَّمُوا العربيَّةَ، فإنها تَزيدُ في الْمُروءةِ.

وقد وَرَدَ عن جَماعةٍ من السلَفِ أنهم كانوا يَضْرِبُونَ أولادَهم على اللَّحْنِ.

وأَسْنَدَ الخطيبُ عن الرَّحْبيِّ قالَ: سَمِعْتُ بعضَ أصحابِنا يَقولُ: إذا كَتَبَ لَحَّانٌ، فكَتَبَ عن اللَّحَّانِ لَحَّانٌ آخَرُ، صارَ الحديثُ بالفارِسِيَّةِ! وأَنْشَدَ الْمُبَرِّدُ:

النحوُ يبسط من لسان الألكَنِ ... والمرءُ تُكرمهُ إذا لم يلحَنِ

فإذا أردتَ من العلوم أجلَّها ... فأجلُّها منها مُقيمُ الألسُنِ

وعليه، فلا تَحْفَلْ بقولِ القاسمِ بنِ مُخَيْمِرَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: تَعَلُّمُ النَّحْوِ: أَوَّلُه شُغْلٌ وآخِرُه بَغْيٌ.

ولا بقولِ بِشْرٍ الحافِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: لَمَّا قيلَ له: تَعَلَّم النحْوَ قالَ: أَضِلُّ، قالَ: قلُ: ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرًا. قالَ بِشْرٌ: يا أخي! لِمَ ضَرْبُه؟ قالَ: يا أبا نَصْرٍ! ما ضَرَبَه، وإنما هذا أَصْلٌ وُضِعَ. فقالَ بِشْرٌ: هذا أَوَّلُه كَذِبٌ، لا حاجةَ لي فيه. رواهما الخطيبُ في اقتضاءِ العِلْمِ العَمَل).

ينبغي لطالب العلم أن يعتني بعلم العربية عموما ومن ذلك علم النحو؛ حتى لا يحصل منه لحن في كلامه أو في كتابته.

ثم ذكر الآثار في أهمية هذا العلم، ولا شك أننا لا يمكن أن نفهم كتاب الله عَزَّوَجَلَّ ولا سنة رسول الله ﷺ ولا آثار الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ولا كلام العلماء إلا بفهمنا للغة العربية، هذا هو الطريق الأول، فينبغي لطالب العلم أن يعتني بهذا العلم.

ثم ذكر بعض الآثار وبعضها فيه طرافة، يقول: إذا كتب لحان عن لحان صار الحديث بالفارسية، وهذا من باب المبالغة في أنه يحصل فيه الخطأ الكثير.

ذكر أيضا بيتين للمبرد رَحِمَهُ اللَّهُ ولكن الشيخ علّق على البيت الثاني فإذا أردت من العلوم أجلّها فأجلّها منها مُقيم الألسنِ، قال هذا مُستدرك، أجل العلوم هو التوحيد وليس ما يُقيم الألسن، الذي هو النحو.

ولكن اعتذر الشيخ له، قال لعل الأولوية هنا نسبية، يعني نسبة إلى علوم الآلة، علوم الآلة مثل النحو والصرف ومثل أصول الفقه ومثل مصطلح الحديث كل هذه علوم آلة، أجلها -يقول- علم النحو، ربما هذا يسلم لكن بإطلاق ما نسلمها، فأجلُّها علم التوحيد.

ثم ذكر طرفة عن بشر الحافي لما قيل له ضرب زيدٌ عمرا، قال لمَ ضربه؟ قالوا ما ضربه ولكن هذا مثل، قال: علم أوله كذب لا حاجة لي به.

هذا يذكره الشيخ من باب الطرف التي تذكر، وإلا فعلم النحو علم مهم لا بد لطالب العلم أن يعتني به.

الطالب:

(الإجهاضُ الفكريُّ:

احْذَر الإجهاضَ الفِكْرِيَّ، بإخراجِ الفِكرةِ قبلَ نُضُوجِها).

أي فكرة سواء رأي في مسالة أو مؤلف، لا تخرج شيئا إلا إذا كان ناضجا،

فمثلا في التأليف، ذكرت لكم قبل قليل أن من العلماء من ألف وأبقى هذه الكتب ما أخرجها حتى تأهل في العلم أن يكون صالحا لأن يؤلف راجع ما كتب ثم أخرجه بعد نضوجه.

الطالب:

(الإسرائيلياتُ الجديدةُ:

احْذَر الإسرائيليَّاتِ الجديدةَ في نَفَثَاتِ المستشرقين من يهودَ ونَصَارَى، فهي أشدُّ نِكايةً وأعظَمُ خَطَرًا من الإسرائيليَّاتِ القديمةِ، فإنَّ هذه قد وَضَحَ أمْرُها ببيانِ النبيِّ ﷺ الموْقِفَ منها، ونَشْرِ العُلماءِ القولَ فيها، أمَّا الجديدةُ الْمُتَسَرِّبَةُ إلى الفِكْرِ الإسلاميِّ في أعقابِ الثورةِ الحضاريَّةِ واتِّصالِ العالَمِ بعضِه ببعضٍ، وكَبْحِ المدِّ الإسلاميِّ، فهي شرٌّ مَحْضٌ وبلاءٌ متَدَفِّقٌ، وقد أخذَتْ بعضَ المسلمينَ عنها سِنَةٌ، وخَفَضَ الْجَناحَ لها آخَرونَ فاحْذَرْ أن تَقَعَ فيها، وَقَى اللهُ المسلمينَ شَرَّهَا.

أولاً: لا بد أن نعرف الإسرائيليات التي هي موجودة في كتب أهل العلم كما يرِد في كتب التفسير كثير من الإسرائيليات، يعني التي تنقل عن بني إسرائيل هذه قال فيها النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ «بلّغوا عني ولو آية، وحدِّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

وذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة التفسير أن هذه الإسرائيليات على ثلاثة أقسام:

-القسم الأول: الإسرائيليات التي ورد في شرعنا ما يؤيدها ويشهد بصدقها، فحينئذٍ هي حق، لكن المعول على أي شيء؟ على شرعنا.

- والقسم الثاني :ما جاء في شرعنا بيان كذبه وبطلانه، فحينئذ تكون هذه الإسرائيليات مُطّرحة؛ لدلالة شرعنا على بطلانها.

-والقسم الثالث: ما سُكت عنه في شرعنا فلم يأتِ بما يدل على صدقه ولا ما يدل على كذبه، فهذه ما الحكم فيها؟ «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج».

نحدث بها ولكن لا نصدّق ولا نكذّب، وهذا يرد كثيرا في كتب التفسير وربما في غيرها.

الشيخ ينطلق من هذا إلى الإسرائيليات الجديدة، ماذا يريد بها؟

يقول: نفثات المستشرقين وإثارتهم للشكوك في دين الإسلام.

والاستشراق هو فكر غربي يُعنى بدراسة علوم الشرق الإسلامي كالعلوم الشرعية والعلوم التاريخية وعلوم اللغة العربية ونحوها، ما هدفهم من دراسة هذه العلوم؟

لأجل الكيد للإسلام وإثارة الشُّبه على المسلمين وتشكيك المسلمين في دينهم، هذا هو مقصودهم، ولهذا تجد في بلاد الغرب جامعات تعنى بهذا، الفقه الإسلامي يدرس هناك ويأخذون عليه الشهادات العليا، والتاريخ الإسلامي واللغة العربية ونحو ذلك وهم غرب، ما مقصدهم من هذا؟ لأنه يقولون إننا لن نصل إلى الكيد للمسلمين وتشكيكهم في دينهم إلا بمعرفة علومهم ثم يبدؤون بالتشكيك وإثارة الشبه، فالشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: أيضا تنتبه لهؤلاء ومن شبههم ومن كيدهم.

الطالب:

(احْذَرْ الْجَدَلَ البِيزَنْطيَّ:

أي الجدَلَ العقيمَ أو الضئيلَ، فقد كان البيزنطِيُّونَ يَتَحَاوَرُونَ في جِنْسِ الملائكةِ والْعَدُوُّ على أبوابِ بَلْدَتِهم حتى دَاهَمَهم.

وهكذا الْجَدَلُ الضئيلُ يصُدُّ عن السبيلِ.

وهَدْيُ السلَفِ كان الكَفَّ عن كَثرةِ الخِصامِ والْجِدالِ، وأنَّ التوَسُّعَ فيه من قِلَّةِ الوَرَعِ، كما قالَ الحسَنُ إذ سَمِعَ قَوْمًا يَتجادلونَ: هؤلاءِ مَلُّوا العِبادةَ وخَفَّ عليهم القولُ، وقَلَّ وَرَعُهم فتكَلَّموا. رواه أحمدُ في الزهْدِ وأبو نُعَيْمٍ في الْحِلْيَة).

هذا مر معنا عند الكلام على المناظرات والمجادلات.

ومراد الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا بالجدل هو الجدل المذموم الذي نهى عنه السلف وهو الذي يقصد به المغالبة والانتصار على الخصم وازدراء الخصم وإظهار جهله هذا هو المذموم الذي نهى عنه السلف، وأما الجدال بالحق الذي يراد به إظهار الحق والوصول إليه فهذا مأمور به كما تقدم.

الطالب:

(لا طائفِيَّةَ ولا حِزبيَّةَ يُعْقَدُ الولاءُ والبَراءُ عليها:

أهلُ الإسلامِ ليس لهم سِمَةٌ سِوى الإسلامِ والسلامِ: فيا طالبَ العلْمِ! بارَكَ اللهُ فيك وفي عِلْمِك، اطْلُب العِلْمَ واطْلُب العملَ وادْعُ إلى اللهِ تعالى على طَريقةِ السلَفِ.

ولا تَكُنْ خَرَّاجًا وَلَّاجًا في الجماعاتِ، فتَخْرُجَ من السَّعةِ إلى القوالِبِ الضيِّقَة، فالإسلامُ كلُّه لك جَادَّةً ومَنْهَجًا والمسلمونَ جَميعُهم هم الجماعةُ وإنَّ يدَ اللهِ مع الجماعةِ، فلا طائفِيَّةَ ولا حِزبيَّةَ في الإسلامِ.

وأُعِيذُكَ باللهِ أن تَتَصَدَّعَ، فتكونَ نَهَّابًا بينَ الفِرَقِ والطوائفِ والْمَذاهِبِ الباطلةِ والأحزابِ الغاليةِ، تَعْقِدُ سُلطانَ الوَلاءِ والبَراءِ عليها فكُنْ طالِبَ عِلْمٍ على الْجَادَّةِ، تَقْفُو الأَثَرَ، وتَتْبَعُ السُّنَنَ، تَدْعُو إلى اللهِ على بَصيرةٍ، عارفًا لأهلِ الفَضْلِ فَضْلَهم وسابِقَتَهم.

وإنَّ الحزبيَّةَ ذاتَ المساراتِ والقوالِبِ الْمُستحدَثَةِ التي لم يَعْهَدْها السلَفُ

مـن أَعْظَمِ العوائقِ عن العِلْمِ، والتفريقِ عن الجماعـةِ، فكم أَوْهَنَت حَبْلَ الاتِّحادِ الإسلاميِّ وغَشِيَت المسلمينَ بسَبَبِها الغَوَاشِي.

فاحْذَرْ رَحِمَكَ اللهُ أَحزابًا وطَوائفَ طافَ طائفُها ونَجَمَ بالشرِّ ناجِمُها فما هي إلا كالْمَيَازِيـبِ؛ تَجْمَعُ الماءَ كَدَرًا، وتُفَرِّقُه هَدَرًا، إلا مَن رَحِمَه ربُّك، فصارَ على مِثْلِ ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

قالَ ابنُ القَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى عندَ عَلَامَةِ أهلِ العُبودِيَّةِ: العَلامةُ الثانيةُ: قولُه: ولم يُنْسَـبُوا إلى اسـمٍ، أي: لم يَشْتَهِروا باسـمٍ يُعرَفون به عندَ الناسِ من الأسماءِ التي صارَتْ أعلامًا لأهلِ الطريقِ.

وأيضًـا، فإنهم لم يَتَقَيَّدُوا بعَمَلٍ واحدٍ يُجْرَى عليهم اسْـمُه، فيُعْرَفون به دونَ غيرِه من الأعمالِ، فإنَّ هذا آفةٌ في العُبوديَّةِ، وهي عُبودِيَّةٌ مُقَيَّدَةٌ.

وأمَّـا العُبوديَّةُ المطلَقَةُ، فلا يُعْرَفُ صاحبُها باسـمٍ مُعَيَّنٍ من معاني أسـمائِها، فإنه مُجيبٌ لداعيها على اختلافِ أنواعِها، فله مع كلِّ أهلِ عُبودِيَّةٍ نصيبٌ يَضْرِبُ معهـم بسَـهْمٍ، فلا يَتَقَيَّدُ برَسْـمٍ ولا إشـارةٍ ولا اسـمٍ ولا بِزِيٍّ ولا طريـقٍ وَضْعِيٍّ اصطلاحيٍّ، بل إن سُـئِلَ عن شَيخِه قالَ: الرسولُ. وعن طريقِه قال: الاتِّباعُ. وعن خِرْقَتِه قال: لِباسُ التَّقْوَى، وعن مَذْهَبِه قالَ: تَحكيمُ السُّـنَّةِ. وعن مَقْصِدِه ومَطْلَبِه قالَ: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾. وعن رِباطِه وعن خَانْكَاه قالَ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ﴾ وعن نَسَبِه قالَ:

أبي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ إذا افتخـروا بقيـسٍ أو تميمِ

وعـن مَأْكَلِه ومَشْـرَبِه قال: ما لـك ولها معها حِذاؤُها وسِـقاؤُها، تَـرِدُ الماءَ وتَرْعَى الشَّجَرَ حتى تَلْقَى رَبَّهَا.

واحسرتاهُ تقضّى العمر وانصرمَت ساعاته بين ذُلّ العجز والكسلِ
والقوم قد أخذوا درب النجاة وقد ساروا إلى المَطلبِ الأعلى على مهَلِ

ثم قالَ: قولُه: أولئك ذخائرُ اللهِ حيث كانوا، ذخائرُ الملك: ما يُخَبَّأُ عندَه ويَذْخَرُه لِمُهِمَّاتِه، ولا يَبْذُلُه لكلِّ أحدٍ، وكذلك ذَخيرةُ الرجُلِ: ما يَذْخَرُه لحوائجِه ومُهِمَّاتِه، وهؤلاءِ، لَمَّا كانوا مَسْتُورِينَ عن الناسِ بأَسبابِهم، غيرَ مُشارٍ إليهم، ولا مُتَمَيِّزِينَ بِرَسْمٍ دونَ الناسِ، ولا مُنتسبينَ إلى اسمِ طريقٍ أو مَذهَبٍ أو شيخٍ أو زِيٍّ، كانوا بِمَنْزِلَةِ الذخائرِ المخبوءةِ، وهؤلاءِ أَبْعَدُ الْخَلْقِ عن الآفاتِ، فإنَّ الآفاتِ كلَّها تَحتَ الرسومِ والتقَيُّدِ بها، ولزومِ الطُرُقِ الاصطلاحيَّةِ والأوضاعِ المتداوَلَةِ الحادِثَةِ.

هذه هي التي قَطَعَتْ أكثرَ الخلْقِ عن اللهِ وهم لا يَشعرون.

والعَجَبُ أنَّ أَهْلَها هم الْمَعروفون بالطلَبِ والإرادةِ، والسيْرِ إلى اللهِ وهم – إلا الواحدَ بعدَ الواحدِ – الْمَقطوعون عن اللهِ بتلك الرسومِ والقُيودِ.

وقد سُئِلَ بعضُ الأئِمَّةِ عن السُّنَّةِ؟ فقالَ: ما لا اسمَ له سِوَى السُّنَّةِ.

يعني: أنَّ أهلَ السُّنَّةِ ليس لهم اسمٌ يُنْسَبُون إليه سِواهَا.

فمِن الناسِ مَن يَتَقَيَّدُ بلباسِ غيرِه، أو بالجلوسِ في مَكانٍ لا يَجْلِسُ في غيرِه أو مِشْيَةٍ لا يَمْشِي غيرَها أو بِزِيٍّ وهيئةٍ لا يَخْرُجُ عنهما، أو عبادةٍ مُعَيَّنَةٍ لا يَتَعَبَّدُ بغيرِها وإن كانت أَعْلَى منها أو شيخٍ مُعَيَّنٍ لا يُلْتَفَتُ إلى غيرِه، وإن كان أَقْرَبَ إلى اللهِ ورسولِه منه.

فهؤلاءِ كلُّهم مَحجوبون عن الظَّفَرِ بالمطلوبِ الأعلى مَصْدُودُون عنه، قد قَيَّدَتْهُم العوائِدُ والرُّسومُ والأوضاعُ والاصطلاحاتُ عن تَجريدِ المتابَعَةِ فأَضْحَوْا عنها بِمَعْزِلٍ، ومَنزِلتُهم منها أَبْعَدُ مَنْزِلٍ، فترَى أحدَهم يَتَعَبَّدُ بالرياضةِ والْخَلْوَةِ

وتَفريغِ القَلْبِ ويَعُدُّ العِلْمَ قاطعًا له عن الطريقِ فإذا ذُكِرَ له الْمُوالاةُ فِي اللهِ والْمُعاداةُ فيه والأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكَرِ، عَدَّ ذلك فُضولًا وشَـرًّا، وإذا رَأَوْا بينَهم مَن يَقومُ بذلك أَخْرَجُوه من بينِهم وَعَدُّوه غَيْرًا عليهم، فهؤلاءِ أَبْعَدُ الناسِ عن اللهِ، وإن كانوا أكثرَ إشارةً. واللهُ أَعْلَمُ اهـ).

ينبغي لطالب العلم أن يحذر من الطائفية ومن الحزبية فلا ينتسب إلى جماعة أو إلى حزب وإنما يعقد الولاء والبراء على دين الله عَزَّوَجَلَّ وما يحبه ويرضاه.

والحزبية المراد بها أن يوالي الشخص أتباعه في هذا الحزب أو في هذه الجماعة، فمن كان معه في هذه الجماعة أو في هذا الحزب ويسير على منهج هذه الجماعة أو الحزب فهو الذي يوالى ومن كان خارجا عن هذه الجماعة أو هذا الحزب فإنه يعادى، إذن الولاء والبراء يُعقد على أي شيء عنده؟ يعقد على الحزب أو على الجماعة، هذا أمر محرم شرعا؛ لأن الولاء والبراء إنما يكون على وفق شرع الله جَلَّوَعَلَا، فمن أطاع الله عَزَّوَجَلَّ كائنًا من كان فإنه يوالى ومن عصى الله عَزَّوَجَلَّ كائنًا من كان فإنه يُتبرأ منه ويعادى.

وهذه المسألة فيها تفصيل، فالناس في الولاء والبراء على ثلاثة أقسام:

- القسم الأول: أهل الصلاح والتقوى والاستقامة، هؤلاء يوالَون موالاة تامة.

- والقسم الثاني: أهل الكفر والشرك والإلحاد، يعني بأنواع ملل الكفر، هؤلاء يعادَون معاداة تامة لا موالاة معها.

- والقسم الثالث: من يوالى من وجه ويعادَى من وجه ،وهم أهل التوحيد الذين عندهم معاصي، عندهم أعمال صالحة وعندهم أيضا أعمال سيئة، كالموحد الذي يصلي ويبر بوالديه ويصل الرحم ولكنه يشرب الخمر أو يقع

في الغيبـة والنميمة ونحو ذلك، فهذا يوالى من وجه، من جهة أنه موحد وعنده بعض الأعمال الصالحة، فمن هذه الجهة يُحب ويوالى، وأما من جهة ما عنده من الكبائر فإنه يعادى فيها.

هذا التفصيل عند أهل السنة والجماعة.

إذن هذا هو معقد الولاء والبراء على وفق الشـرع لا على وفق الطائفية أو وفق الأحزاب أو الجماعات.

وحتـى لا يكون الكلام عاما نضرب مثالا واحـدا على الحزبية الموجودة عند جماعة الإخوان المسلمين، وحتى لا يكون الكلام من غير مستند -لأنك إذا قلت هذا قد يقول قائل أبدا هذا غير موجود عند الجماعة- نقول طيب الآن نرجع إلى كلام مؤسسـي هذه الجماعة وكبراء هذه الجماعة، أنا سـأنقل لكم نقلين عن حسن البنا ونقل عن سيد قطب، يقول حسن البنا في مذكّرات الدعوة والداعية -إن شئت أن ترجع للكتاب فهو موجود ومنشور في النت- مذكّرات الدعوة والداعية صفحة ١٩٠ يقول: (على كل مسـلم أن يعتقد أن هذا المنهج -يعني منهج الجماعة- كله من الإسـلام ،وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة).

ماذا تفهم من هذا الكلام؟ يعني أن جماعة الإخوان كما يقول منهجها كله من الإسلام.

وإذا قلـتَ: فيـه نقص معناه أن في الإسـلام نقصا. إذن هـم يرون أن الحق معهم، وأن المخالف لهم يكون عنده الخلل والنقص.

انظـر كلاما ثانيا له أيضا في نفس الكتاب صفحـة ٢٨٨ يخاطب أتباعه، حسـن البنا -غفر الله لنـا وله-يخاطـب أتباعه، يقـول: (فدعوتكم أحق أن

يأتيها الناس ولا تأتي أحدا.(أي الناس يأتونكم يدخلون معكم أما أنتم لا تذهبون لأحد.

(وتستغني عن غيرها، إذ هي جماع كل خير وما عداها لا يسلمون النقص).

جماعة الإخوان هي جماع كل خير، وأما ما عدا هذه الجماعة لا يخلو من النقص.

فحاصل كلامه أنه يقول: الحق معنا، وغيرنا عنده حق وعنده باطل، ونحن الذين نمثل الإسلام.

هذه حزبية باطلة، والعجب أننا ما سمعنا هذا من أحد من أهل العلم الذين هم على السنة ما عندهم بدع ولا عندهم ضلالات جماعة الإخوان، ومع ذلك لا يقولون للناس: اتبعونا، لا، يقولون: اتبعوا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على فهم سلف الأمة، نحن بشر نصيب ونخطئ، ولهذا الإمام احمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان ينهى أن يكتب كلامه وهو إمام أهل السنة، لماذا؟ يقول: أنا أرى الرأي اليوم وغدا يختلف رأيي خذوا من حيث أخذنا يعني من أين؟ من الآثار ومن النصوص.

حتى تعرف الواقع... جاء سيد قطب فجاء بغلو زائد، اسمع ماذا يقول:

(ثم تأتي بعد ذلك مرحلة المفاصلة وهي أن يقف رجالات هذه الدعوة ويفاصلوا المجتمع ويقولوا: هذا طريقنا وهذا طريقكم، فمن أراد أن يلحق بنا فهو مسلم ومن وقف ضدنا فقد حكم على نفسه بالكفر).

وهذا الكلام ذكره علي عشماوي في كتاب التاريخ السري لجماعة الإخوان صفحة ٩٣.

وعلي عشماوي -حتى تعرف- هو من الجماعة، علي عشماوي هو من

أصحاب التنظيم السري في جماعة الإخوان وكتب هذه المذكرات، فهذا الكلام الذي ينقله مَن؟ واحد منهم.

وهذه الحزبية واعتقاد أن الحق معهم لا يخرج عنهم لا شك أن هذا مما ينهى عنه دين الإسلام.

فلهذا ينتبه طالب العلم، طالب العلم لا يتحزب ولا ينتمي إلى طوائف ولا إلى جماعات، وإنما المرجع إلى كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وسنة رسوله ﷺ على فهم سلف الأمة كما تقدم هذا معنا مرارا.

والشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر أن أهل السنة ليس لهم اسمٌ يُنسبون إليه سواها، فهم أهل سنةٍ وجماعة، وهم أهل الأثر وهم الطائفة المنصورة وهم الفرقة الناجية وهم السلفيون، كل هذه مصطلحات ترجع إلى معنى واحد كما تقدم، الرجوع إلى الكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وقد قال النبي ﷺ «تفترق هذه الأمة على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة»

قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي».

من كان على هذا الطريق فليبشر بالسلامة في دنياه وفي أخراه، ويكون بذلك سلم من التحزب ومن الطائفية.

الطالب:

(نَوَاقِضُ هذه الْحِلْيَةِ:

يا أخي – وَقَانا اللهُ وإيَّاكَ العثراتِ – إن كنتَ قَرَأْتَ مَثَلًا من حِليةِ طالبِ العِلْمِ وآدابِه وعَلِمْتَ بعضًا من نواقِضِها، فاعْلَمْ أنَّ مِن أَعْظَمِ خَوارِمِها الْمُفْسِدَةِ لنظامِ عِقْدِها:

إفشاءَ السرِّ.

ونَقْلَ الكلامِ من قومٍ إلى آخرينَ.

والصلَفَ واللسانَةَ.

وكثرةَ الْمِزاحِ.

والدخولَ في حديثٍ بينَ اثنينِ.

والحقْدَ.

والحسَدَ.

وسوءَ الظنِّ.

ومُجالَسَةَ المبتَدِعةِ.

ونَقْلَ الْخُطَى إلى الْمَحارِمِ.

فاحْذَرْ هذه الآثامَ وأخواتِها واقْصُرْ خُطاكَ عن جميعِ الْمُحَرَّمَاتِ والْمَحارِمِ فإن فعلتَ وإلا فاعْلَمْ أنك رَقيقُ الدِّيانةِ خَفيفٌ لَعَّابٌ مُغْتَابٌ نَمَّامٌ فأَنَّى لك أن تكونَ طالبَ عِلْمٍ، يُشارُ إليك بالبَنانِ، مُنَعَّمًا بالعِلْمِ والعمَلِ.

سَدَّدَ اللهُ الْخُطَى، ومَنَحَ الجميعَ التقْوَى وحُسْنَ العاقِبَةِ في الآخرةِ والأُولَى.

وصَلَّى اللهُ على نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وعلى آلِه وصَحْبِه وسَلَّمَ).

ختم الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الكتاب النافع بذكر نواقض هذه الحلية، يعني إذا تحلَّى طالب العلم بما تقدَّم ذكره في هذا الكتاب وبغيره أيضًا من الآداب الشرعية فلا يليق به أن يكون عنده مثل هذه المحرمات، ومنها إفشاء السر ونقل الكلام من قوم إلى آخرين على سبيل الإفساد، وهو النميمة، وغير ذلك مما ذكر.

وأيضا كثرة المزاح، وقد مر معنا الكلام على المزاح وأنه لا يجوز إلا بشروط ثلاثة، وإذا اختل منها شرط صار المزاح محرما.

المقصود أنه لا يليق بطالب العلم أن يقع في مثل هذه المحرمات، وحاصلها: العمل بالعلم فإنه يمر معه الأحاديث في النميمة وأنها من الكبائر «لا يدخل الجنة نمام» وإذا به ينقل الكلام بين إخوانه طلاب العلم لأجل أن يفسد بينهم، ما هذا؟ ما ثمرة العلم إن لم يعمل به؟ هذا لا شك أنه على خطر عظيم وعلى خلل، العلم ما انتفع به.

وقد تقدم معنا كلام الشيخ، ما هو العلم النافع؟ قال: الذي يعقبه العمل بهذا العلم، هذا العلم النافع.

ولهذا الإنسان يتابع نفسه ويحاسب نفسه، إن رأيت من نفسك -عياذًا بالله- أنك تتعلم ولا تعمل إذن النية فيها شيء، لماذا تتعلم؟ مر معنا أن الإخلاص في طلب العلم يكون بأمور، من هذه الأمور أن ترفع الجهل عن نفسك، لو فرض أن شخصا لا يعرف النميمة ثم سمع الحديث: «لا يدخل الجنة نمّام» قال ما هي النميمة؟ قيل له نقل الكلام بين الناس على وجه الإفساد، قال الحمد لله تعلمت الآن، طيب ماذا يعقب هذا؟ أنك لا تنم بين الناس، هذا علم نافع، أما أن تتعلم ثم بعد ذلك تخالف ما تعلمت هذا يكون حجّة عليك يوم القيامة، ووزر الإنسان يكون أعظم.

نسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يوفقنا لكل خير وأن يرزقنا علمًا نافعًا وعملاً صالحًا، وأسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يغفر للشيخ بكر أبو زيد وأن يسكنه فسح جناته وأن يغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين.

والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.